زلزال جهيمان في مكة

للمؤلف:فهد القحطاني



مقدمة :
في مطلع هذا العام الهجري الجديد (1425هـ(تكون قد مرت على انتفاضة الحرم خمسة وعشرون عاماً، عاشها المؤمنون على امتداد الوطن الإسلامي في صراع مرير مع أنظمة التبعية والعمالة من أجل بناء دولة الإسلام، وتطبيق حكم الله في الأرض.. خمسة وعشرون سنة هي قليلة بعمر الزمن، ولكن ذابت فيها أحداث قرن، فكانت بمثابة منعطف قلب المعادلات السائدة، وها هي بشائر الأمل تلوح في كل قطر إسلامي، على أن دين الله باق وأن الطواغيت إلى زوال..

خمسة وعشرون سنة كافية لدراسة الانتفاضة العظيمة التي فجرها المؤمنون في مكة المكرمة، بعيداً عن الأجواء المشحونة بالانفعالات والتضليلات التي صبها الاعلام الفاسد كالسيل في آذان المسلمين..

وهذه الدراسة لحادثة الحرم والتي نستعرض فصولها في هذا العدد من المجلة، هي بمثابة تخليد لذكرى الشهداء، وهي بالدرجة الأساس ليس هدفها تغيير القناعات التي تشكلت بسبب الغموض والدعاية المضللة فحسب، وإنما هي أيضاً محاكمة لأقطاب النظام السعودي وجرائمه معتمدين في ذلك على أقوالهم وتصريحاتهم وأفعالهم أيضاً..

إنها دراسة لا تستهدف التبرير أو الدفاع عن باطل.. بل هي دفاع عن قناعات حقة.. فالانتفاضة ـ وكأي انتفاضة ـ لها أخطاؤها، ولها سلبياتها، لكن ما يهمنا هنا أنها قامت للدفاع عن حق مشروع بل وواجب، وإذا كان هناك خطأ ما، فإننا نتخذ من كلام الامام علي (عليه السلام) جواباً على هذا الاشكال.. لقد قال الامام: (ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل بأصابه)..

آل سعود طلاب باطل، طلاب سلطة، ومستعدون لمقاتلة وذبح أي كائن كان من أجل الحفاظ عليها.. لقد أصابوا الباطل حينما قتلوا المؤمنين في الحرم، وقتلوا معهم جموع الحجاج.. وزادوا على ذلك بأن شوهوا ـ أيما تشويه ـ أهداف الانتفاضة ودوافعها، واستخدموا كل الوسائل لقلب الباطل حقاً، والحق باطلاً.. وهذه الصفحات تحوي تفاصيل الباطل السعودي الذي روجوه عبر إعلامهم للعالم الإسلامي لتأييد مواقفهم ضد طلاب الحق.

تمهيد:
الحدث....في فجر مطلع القرن الخامس عشر الهجري، الموافق ليوم الثلاثاء 1400/1/1هـ ـ 20 نوفمبر 1979م، سيطرت مجموعات من الأشخاص ينتمون إلى جماعة (الدعوة المحتسبة) التي هي امتداد لحركة (الاخوان)[1]، على الحرم المكي الشريف واعتصمت بداخله، يرافقهم في ذلك نساؤهم وأطفالهم..

وقد أصيب النظام السعودي بالذهول من هذا الحدث.. وحاول فرض تعتيم إعلامي على الحدث ومنع تسربه للخارج، وقام بعدة إجراءات ابتدأت بالصمت وعدم الاعلان عن أي شيء، وانتهاء بغلق المطارات، وقطع الاتصالات الهاتفية بالخارج..

لكن وبعد اقل من عشرين ساعة، سمع العالم بما حدث من خلال إذاعة صوت أميركا التي هي أول إذاعة أعلنت النبأ.. وقد تسرب الخبر إلى سفارة واشنطن في جدة، فأعلنت وزارة الخارجية الأميركية (أن ما يتراوح بين 60 - 100 شخص يحتجزون 30 رهينة في أحد مساجد مكة).. وأضاف الناطق بإسم الوزارة (هودنغ كارتر) أن (مجموعة غير معروفة الانتماء استولت على المسجد، واحتجزت رهائن فيه، وقتلت شخصية حكومية سابقة. وقد تكون هذه المجموعة من المذهب الشيعي).. وفي اليوم التالي مباشرة نشرت الخبر العديد من الصحف الأجنبية والعربية[2]..

وفي صباح اليوم التالي (الأربعاء 1979/11/21م) أشارت جريدة النهار إلى أن مراسلي وكالات الأنباء في الكويت والامارات والبحرين وغيرها، قد أعلنوا بأن الاتصالات الهاتفية مع السعودية قد قطعت لأسباب مجهولة..

وقد جن جنون الحكم السعودي، فأميركا التي هي الحليف الأول كسرت جدار الصمت الذي أراد فرضه على الأحداث.. لدرجة أن أقطاب الحكم السعودي اشاروا أكثر من مرة إلى امتعاضهم ولومهم لهذا الاعلان.. فقد أعلن وزير الداخلية نايف بأن (التصرف الأميركي لم نجد له التفسير الكافي حتى الآن.. وهو مؤسف.. بالاضافة إلى أنه تصرف لا مبرر له حتى الآن)، وقد كرر الوزير مرة أخرى امتعاضه هذا في مقابلة له مع جريدة السفير البيروتية في (1980/1/10)..

إن الاعلان الأميركي عن النبأ أحرج الحكم السعودي بدون قصد، كما أنه يوضح مدى متابعة ومراقبة ونشاط سفارة أميركا في البلاد..

ومن جانب آخر، وبسبب الاحراج، اضطر آل سعود إلى إعلان النبأ مشوهاً إلى العالم، خوفاً من أن تفهم الأحداث بخلاف وجهة النظر السعودية، وحتى تكون المصادر الاعلامية السعودية هي المصدر الوحيد للأنباء.. خاصة وأن الحكومة السعودية منعت الصحفيين من الدخول إلى البلاد، وقطعت الاتصالات عنهم حتى لا يبلغوا عن أي أخبار..

إذن ـ وبوجهة النظر السعودية ـ ليس هناك مشكلة.. فالاعلام وأجهزته هو سعودي مسعود، ولن ينقل سوى البيانات الرسمية، ويعكس وجهة نظر الحكومة، وأما العالم الاسلامي فعليه الانتظار لما تجود به قريحة وزارة الداخلية من بيانات ملؤها الشتائم والاتهامات الباطلة.

ومع هذا.. لم تستطع السلطة السعودية الفاسدة، أعطاء وجهة نظر واحدة تجاه الموضوع.. فالبيانات تتناقض مع نفسها، والتصريحات التي اطلقها المسئولون باستمرار يناقض بعضها ومع هذا.. لم تستطع السلطة السعودية الفاسدة، أعطاء وجهة نظر واحدة تجاه الموضوع.. فالبيانات تتناقض مع نفسها، والتصريحات التي أطلقها المسئولون باستمرار يناقض بعضها الآخر.. فهذا ينفي وذاك يؤيد، وثالث يصحح، ورابع يجمع بين المتناقضات، وهكذا دواليك..

وإلى كتابة هذه السطور، لا يستطيع أي باحث أن يخرج بنتيجة واحدة مما قاله مسئولو النظام.. بل إن معهد (دايان) الصهيوني للدراسات الاستراتيجية، قال في معرض دراسة لحادثة الحرم، أنه لا يمكن أبداً الاعتماد على البيانات الرسمية السعودية في تحليل ما حدث.

وسوف نلقي في هذا البحث المزيد من الأضواء الكاشفة على التخطيط الاعلامي السعودي الذي لم يشهد له مثيل، والذي يبين واقعه دجل الاعلام السعودي ورجاله..

[1] ـ حركة الاخوان، هي حركة تختلف كلية عن الاخوان المسلمين.

[2] ـ من بينها صحيفة النهار البيروتية (1979/11/21م).

الفصل الأول .... ويشمل :
هوية الثائرين
الثوار كما يعرفهم آل سعود
بداية الأخوان وبداية الدولة السعودية

إحتلال الحجاز والنهاية
البعث الجديد
العودة من جديد
الإنشقاق

الثائرين بعد أربع وعشرين ساعة من وقوع الحادث، وبعد تسرب الأنباء حول الاعتصام بداخل الحرم، نطق الحكم السعودي كفراً بعد أن صمت دهراً.. وتمثل الرد في أمرين، الأول: قالت مصادر سعودية مقربة من الملك السعودي الحالي (فهد) والذي كان حينها ولياً للعهد، يحضر اجتماعات القمة العربية في تونس، معلقة على تصريح الناطق بلسان وزارة خارجية أميركا: (إن هذا الحادث أقل أهمية بكثير مما ألمحت إليه وزارة الخارجية الأميركية)[1].. وهذا التصريح هو محاولة للتقليل من الحادث الذي تصور آل سعود أنه سينتهي خلال يوم أو يومين.. والأمر الآخر، هو البيان الذي أصدرته وزارة الداخلية السعودية في صباح 1979/11/21م، والذي جاء متأخراً يوماً كاملاً.. وأهم ما في البيان أنه أعلن وجود الحدث الذي سبقهم إليه غيرهم.. وأما بقيته فهو تهم وشتائم ليس إلا.. يقول البيان: (اغتنمت زمرة من الخارجين على الدين الاسلامي صلاة الفجر يوم الثلاثاء 1400/1/1هـ، وتسللت إلى المسجد الحرام، ومعهم بعض الأسلحة والذخيرة.. وقدموا أحدهم إلى جموع المسلمين المتواجدين بالمسجد الحرام بمكة المكرمة لأداء صلاة الفجر مدعين لهم بأنه المهدي المنتظر، ونادوا المسلمين المتواجدين بالمسجد الحرام للاعتراف به بهذه الصفة وتحت وطأة السلاح منهم.. وقد قامت السلطات المختصة باتخاذ كافة التدابير للسيطرة على الموقف، وبناءاً على فتوى من العلماء جميعاً اتخذت الاجراءات لحماية أرواح المسلمين المتواجدين بالمسجد الحرام.. وسوف تقوم وزارة الداخلية بإصدار بيان لاحق يوضح ما يستجد بشأن هذا الحادث إن شاء الله).. ولنا هنا بعض الملاحظات على هذا البيان: الأولى: الحكم السعودي نعت ولازال ينعت كل المعارضين لحكمه الفاسد والمخالف للشرع بـ (الخوارج)، وهذا هو دأب الحكم السعودي منذ تأسيسه وحتى الآن.. والسبب في استخدام الحكم السعودي لهذا النعت، هو إيهام الرأي العام المحلي والخارجي بأنه قائم على أساس من الدين والعقيدة، وعليه فإن من يخرج على الحكم السعودي الفاسق فانه يخرج من دين الله.. ولقد كان الشهيد جهيمان عالماً بهذه الحقيقة، ويشهد على ذلك كتاباته، وكأنه يتوقع من الأسرة الحاكمة أن تطلق عليه هذا النعت (الخوارج) قبل أن يقوم بانتفاضته.. وهنا لا يسعنا إلا أن ننقل مقتطفاً طويلاً من كراس منشور للمرحوم جهيمان بإسم (الامارة والبيعة والطاعة، وكشف تلبيس الحكام عن طلبة العلم والعوام) حول هذه المسألة.. يقول جهيمان مدافعاً (عن الاخوان) السابقين الذين هم أجداده، والذين أسسوا الحكم السعودي وكانوا الجيش الأساسي للملك عبد العزيز، والذين فتك بهم الملك المؤسس وقتلهم بذات التهمة (الخوارج) ما يلي: (ولم تستطع هذه الدولة ـ دولة آل سعود ـ أن تفعل ما تفعله من التلبيس والتدليس، إلا لأن رعيتها ومن هم في قبضة أيديها كأرانب، دفعت عليها الغنم لاصطيادها وقتلها، ومن كانت هذه صفته فهو يستحق ما يناله، وبذلك تجد المغرورين من هذه الرعية رؤساء في الدنيا، أتباعاً في الدين لكل ناعق.. وتجد حكمهم وسلطانهم ـ أي حكم آل سعود وسلطانهم ـ قائماً على ثلاث قواعد من حيث معاملة أهل العلم والدين.. إن وافقتهم وسكت عن باطلهم قربوك واتخذوك حجة على من خالفهم، وإن سكت عنهم سكتوا عنك، وربما زادوك وأرسلوا لك الهدايا، وذكروا في حقك هذا الحديث "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" ـ رواه البخاري، وهي كلمة حق أريد بها سكوت عن باطل.. وإن خالفتهم قتلوك بشبهة يسكتون بها الأرانب، فيقولون هو "خارجي"، مع ان أرنبهم لا تعرف معنى "الخارجي".. وأقرب مثال وأوضحه، مؤسس دولتهم والمشايخ الذين كانوا معه في سلطانه، وهم ما بين موافق له ومعزز له بما يشاء، وآخر ساكت عن باطله، وآخر التبس عليه الأمر.. فقد دعا "الاخوان" رحمهم الله الذين هاجروا في القرى المختلفة هجرة لله عز وجل، دعاهم إلى بيعته على الكتاب والسنة، فكانوا يجاهدون ويفتحون البلاد، ويرسلون له بما للامام من الغنائم والخمس والفيء ونحو ذلك، على أنه إمام المسلمين، ثم لما استقر سلطانه وحصل مقصوده، والى النصارى، ومنع مواصلة الجهاد في سبيل الله خارج الجزيرة.. فلما خرجوا، لقبهم هو ومشايخ الجهل الذين معه، لقبوهم بإسم يكرهه أهل الاسلام وهو "الخوارج"، مع أن الاخوان رحمهم الله، لم يخرجوا عليه ولم يخلعوا يداً من طاعة، وإنما لم يطيعوه حينما نهاهم عن الجهاد، وهذا هو الواجب لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "إنما الطاعة في المعروف" ـ متفق عليه، وقوله: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" ـ رواه أحمد وهو حديث صحيح. فيتبين لك ضلالهم في حكمهم على من خالفهم أنه "خارجي"، ولكنهم يلبسون على عوام المسلمين الذين لا يتبصرون في دينهم، ويجدون من مشايخ الضلال من يعطيهم الفتاوى، بلا تورع ولا تقوى.. وليس لنا مراد في الخوض في الأموات، فقد افضوا إلى ما قدموا، ولكن لأمرين: الأمر الأول: دفع الشبهة عن إخواننا الذين جاهدوا في سبيل الله، وكانوا صادقين مع الله، ثم مع ذلك تلبسهم هذه الدولة ـ السعودية ـ وعلماء السوء لباس الخوارج المارقين من دين الاسلام.. حتى أنك لتجد اليوم من أهل الخير الملتبس عليه أمرهم من لا يترحم عليهم "سبحانك هذا بهتان عظيم".. ولا غرابة في ذلك من أهل ملك يريدون تثبيت

ملكهم، وإنما الغرابة ممن يدعي الصلاح والخير، ثم يتهم المؤمنين بما هم منه براء.) ـ ويضيف ـ: (وبعدما لقبهم عبد العزيز بالخوارج، حمل إخوانهم الذين لم يخرجوا معهم على قتالهم، فخرج بهم على طريقهم وبدأهم بالقتال.. فلما قتلهم وشتتهم، واستقر سلطانه الجبري، والى النصارى، وعطل الجهاد في سبيل الله، وفتح من الشر أبواباً مغلقة. ثم واصل السير على نهجه أبناؤه من بعده، حتى وصلت بلاد المسلمين إلى ما وصلت إليه اليوم من الشر والفساد.. فنقول الآن: أين الحكم بالكتاب والسنة الذي ادّعوا الحكم به أول ملكهم، ويدعيه كل من تجددت له بيعة منهم؟، أم أن الأمر كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث: "وإن طالت بك حياة لتجدن الولد يشابه أباه" ويشعلون الحرب بين المسلمين ويسيرون بعضهم على بعض. الأمر الثاني: حملنا على الكلام في تاريخ هذه الدولة مع أهل الحق الصادقين، وتلقيبهم "بالخوارج" تلبيسا على العوام الجهال، أنه لا يزال إلى اليوم من هو على هذه الضلالة من مشايخ الجهل والضلال، ويعتقدون أن الاخوان الماضين "خوارج"، ويسمون من يدعو إلى الحق الذي جاء في الكتابة والسنة اليوم "خوارج" ويفتون بقتله.. الخ).. هذا الرد من قبل جهيمان، وقبل أن تعمم الأسرة الحاكمة صفة "الخوارج" التي أطلقتها ضده بعد الانتفاضة، على العالم الاسلامي، يوضح بصورة مطلقة كيف أن آل سعود ومشايخهم يستخدمون أقذع العبارات ضد معارضيهم ويجردونهم من إسلامهم، رغم أن هؤلاء ما ثاروا وانتفضوا إلا من أجل الاسلام.. والغريب أن الأسرة الحاكمة ومن خلال بيان وزارة الداخلية، لم توضح هوية المعتصمين في الحرم، ولا جنسياتهم، ولا مطالبهم، ولا عددهم، ولا نوعية سلاحهم، كل هذا لم تشر السلطة إليه، إنما أشارت إلى التعريف الذي تطلقه اعتباطاً وبسهولة على أنهم "خوارج" وكفى! الثانية: تعمد البيان الحكومي إغفال الهدف من الاعتصام، ولكنه أوحى بأن الهدف هو مبايعة "المهدي المنتظر" فحسب، وتحت وطأة السلاح أيضاً.. ورغم أن مبايعة ما أسمي بالمهدي المنتظر كان قد وقع في الحرم بالفعل، ورغم أنه لم يتم تحت وطأة السلاح كما زعمت السلطة وبيانها، رغم هذا فإن البيان أراد حصر أهداف المعتصمين في مسألة المهدي فقط، وتجاوز الاهداف الدينية والسياسية المعلنة. ومن المعلوم أن جميع المسلمين "سنة وشيعة" يعتقدون بالمهدي المنتظر، كل حسب اجتهاداته، لذا أراد البيان أن يشغل العالم بتفاصيل هذه المسألة لاهمال الجوانب الأخرى من العملية. الثالثة: زعم البيان الحكومي ـ وبحجة الحفاظ على أرواح المسلمين في داخل الحرم ـ أن الحكومة اتخذت تدابير أمنية من أجل ذلك بناءاً على فتوى جميع العلماء.. ويتوضح هنا حرص الحكومة على ذكر "جميع" العلماء، بيد أن الحقيقة التي ظهرت هي أن العلماء لم يصدروا حتى ذلك التاريخ "صباح 1979/11/21م" أي فتوى، وإنما أرادت الأسرة الحاكمة أن توهم الناس بأن أعمالها العسكرية التي بدأت بها نالت الموافقة الشرعية المسبقة، لحماية أرواح الحجاج.. وقد تبين فيما تبين أنه لم تكن هناك أي رهائن لدى المعتصمين، الذين زعمت أجهزة الاعلام أنهم بقبضتهم، وما كان التشديد على وجود رهائن إلا من أجل أن يسبغ على التحرك العسكري السعودي صفة الشرعية والدفاع عن الأرواح البريئة.. والأكثر من هذا أن محمد عبده يماني وزير الاعلام السعودي أشار في لقاء له مع مجلة الحوادث "1980/1/18" إلى أن السلطة تصورت في البداية أن القائمين بالعملية هم بعض المشايخ.. فكيف تحول هؤلاء المتهمون إلى موقف الحكومة الذي يطالب بمداهمة الحرم عسكرياً رغم أن ولاء بعضهم للعائلة الحاكمة ـ على الأقل ـ مشكوك به؟، وكيف يبرر البيان تأكيده على وجود فتوى من "جميع" العلماء؟! [1] ـ وكالة الأنباء الفرنسية 1979/11/21م.

الثوار كما يعرفهم آل سعود:

بعد أربع وعشرين ساعة من وقوع الحادث، وبعد تسرب الأنباء حول الاعتصام بداخل الحرم، نطق الحكم السعودي كفراً بعد أن صمت دهراً..

من السهل أن يلقي النظام التهم والألقاب السيئة التي يريدها ويجد لها من يروجها..

فأولا.. لا ينقص آل سعود الأجهزة الاعلامية المتطورة، ولا ينقصهم تعاطف الصحافة الغربية والاعلام الغربي، إضافة إلى أن الاعلام الرسمي العربي والاسلامي معها.. هذا لا ينقصهم

وثانيا.. وهو الأهم، أن أمراء الأسرة الحاكمة، لا يحكمهم وازع من دين فيحاسبوا أنفسهم في تصرفاتهم "أقوالهم وأفعالهم"، وما داموا طلاب ملك، ويدافعون عن ملكهم، فلا يهمهم الوسيلة بعدئذ..

ولذا لم يدخر أي مسئول سعودي أو أمير صغير من أمراء الأسرة المالكة وسعاً في إلقاء التهم والنعوت التي يريدون على المعتصمين داخل الحرم.. خصوصاً وأن هؤلاء الأخيرين لم يكونوا يملكون أي توجه إعلامي

يفند للعالم مزاعم الحكم السعودي، وهكذا بقيت التعريفات السعودية للثوار التي أطلقها آل سعود سيدة الساحة الاعلامية، تلوكها الصحف الأجنبية والعربية، وتنقلها عن بعضها البعض..

في السابق ، كان السعوديون يواجهون القوى الوطنية المعارضة لحكمهم بأنها شيوعية تريد القضاء على الاسلام الذي جاء آل سعود لاحيائه والدفاع عنه (...).. ولكن ما عساهم أن يقولوا اليوم والحركة الاسلامية تقف بشموخ في ساحة المعركة، وفي مواجهة حكمهم الفاسد من أجل تطبيق حكم الاسلام العادل؟!

لابد أن تتغير الاتهامات بالطبع.. فلا يمكن أن يمرروا على المسلمين بأن هؤلاء شيوعيون يريدون القضاء على الاسلام.. وإنما هناك صفات لابد أن تبتدع لمواجهة مثل هذه الحالة..

ولذا كان من جملة الأوصاف السعودية التي اطلقت على جهيمان وصحبة، "التطرف".. "الهوس الديني".. "الجنون".. "الغرور".. "الخروج عن الدين".. "المروق والظلال، والكفر..الخ"..

ففي البيان الأول للحكومة الصادر في اليوم التالي للاعتصام (1979/11/21)، جاء وصف (الخروج عن الدين). وفي اليوم التالي وصفهم وزير الخارجية سعود الفيصل بأنهم (مجموعة من المتعصبين المهووسين)[1].. كما وصفهم أمير المدينة المنورة عبد المحسن بن عبد العزيز بأن الجماعة (فئة مارقة ضالة أرادت التفرقة بين المسلمين)[2].. وفي نفس الوقت وصفهم وزير الداخلية (وزير القمع) نايف بن عبد العزيز بأنهم (مجرمون وقتلة)، وفي اليوم التالي أضاف بأن (الحادث هو انحراف وخروج عن حقيقة الدين الاسلامي في إطار إجرامي)[3].

من جهته قال الملك السعودي السابق (خالد)، وحسب ما أذاعته إذاعة الرياض (1979/11/23م) أنه أرسل برقية جوابية للملك المغربي، جاء فيها بأن أفراد الجماعة (فئة متطرفة ومغرورة ومنحرفة عن جادة الدين الحنيف)..

وبالنسبة للاذاعة السعودية، فقد جاء في تعليقها السياسي في اليوم الرابع للعملية (1979/11/23) ما يلي: (إن المملكة ستضرب بيد من حديد كل من يحاولون التستر تحت ستار الاسلام كذبا وادعاءا واستغلالا للأوهام والخزعبلات، بهدف الوصول إلى أهداف خطيرة سعياً للاساءة إلى الاسلام والمسلمين)..

فلاحظ أخي القاريء هذه الأوصاف كيف أنها تنطبق فعلاً على الحكام السعوديين لا على أولئك المعتصمين في الحرم، ولاحظ كيف أن الاعلام السعودي يصم كل محاولة لمعارضة الأسرة الحاكمة الفاسقة بأنها تمسيء إلى الاسلام، بينما هي في الواقع لا تسيء إلا إلى آل سعود أنفسهم..

وزادت حمى التصريحات السعودية، وزادت الأوصاف والنعوت الباطلة، فهذا مشعل بن عبد العزيز، وزير الدفاع السابق يعتبر حادثة الحرم شيئاً مكملا للحروب الصليبية، وأنه وإخوته يمثلون الاسلام والدفاع عنه، بينما جهيمان وجماعته يمثلون العداء الصليبي للاسلام، مع أن كراسات جهيمان تشهد بأن من أسباب انتفاضته أن آل سعود موالون للصليبيين أعداء الاسلام.. يقول مشعل هذا (إن حادث الحرم هو استمرار للحرب ضد الاسلام منذ الحروب الصليبية حتى الآن)..

وهذا سلمان بن عبد العزيز (أمير الرياض) يصفهم بالانحراف والشذوذ[4]، بينما لا يوجد على أرض الجزيرة العربية والعالم الاسلامي أكثر شذوذا وانحرافاً من آل سعود، وهذه الصفة نالها آل سعود عن جدارة، وشهد لهم الغرب بها قبل المسلمين، رغم اختلاف التوجه الديني والأخلاقي..

واعتبرهم فهد، الذي كان يومها ولياً للعهد، ويحضر اجتماعات القمة العربية في تونس، بأنهم (أعداء الدين والوطن) وأنهم (طغمة فاسدة)[5].. ثم عاد ووصفهم بأنهم (سذج)، وأوحى في تصريح له بأن الاحساس الديني المتعمق في البلاد يسبب السذاجة، وعليه فإن كل المواطنين أو معظمهم ـ برأي فهد ـ هم من السذج، يقول مضيفاً (وبطبيعة الحال فإن السذج كثيرون، والاحساس والشعور الديني أعمق عندنا هنا منها في أي بلد آخر)..

لقد كان وزير القمع السعودي أكثر المتحاملين على المعتصمين، وقد أضاف إلى قاموس السباب الذي اشتهرت به أسرته الفاجرة، بذاءة في التعبير، ووقاحة بلغت حدا تصور معه المراقبون بأن نايف يحمل حقداً دفينا في قلبه على المتدينين جميعاً داخل البلاد..

فإضافة إلى نعوتاته السابقة قال نايف عن الجماعة بأنها (شرذمة فاسدة مفسدة روعت المسلمين والطائفين في بيته الكريم الآمن)[6]، وبعد مدة قال مصححاً:

(أحب أن أصحح كلمة قيلت عن وصف هذه الفئة بالفئة الباغية، الواقع أنها أكثر من باغية، هي مجرمة وخارجة)[7].. وفي مقابلة مع سليم اللوزي رئيس تحرير (الحوادث) السابق قال بأن أفرادها (مهووسون سذج، استولت عليهم مشاعر دينية معينة)[8].

ونقلت الصحف اللبنانية تصريحا لفهد بتاريخ 1980/1/25 قال فيه: (إن الذي حدث هو، سمة ما تسميه، ولكنه أقرب إلى الهوس، وعدم الانتظام، وعدم التفكير).. وفي هذه الأثناء وصفهم نايف بأن: (مستواهم الفكري والثقافي كان دون الحد الأدنى الذي يمكنهم من طرح أي قضية علمية أو دينية أو اجتماعية)..

وبلغ استخفاف الاعلام السعودي بالرأي العام حداً فظيعاً، حين قارن حادث الحرم مع طائفة جيم جونز التي قامت بعملية انتحار جماعي في (غوايانا) في عام 1978م.. وتلقفت مجلة الحوادث هذه المقارنة السخيفة ليكتب بعدها رئيس التحرير: (كنت في الولايات المتحدة، ولعل هذا هو السبب الذي جعلني أربط بين حركة "الاخوان" وحركة "هيكل الشعب" في مقاطعة "غويانا" بأميركا، حيث أقدم حوالي تسعمائة شخص عام 1978م على الانتحار بدعوة من مرشدهم "جيم جونز".. كلا الحركتين قامتا على الهوس الديني، وكلاهما انتهت بعملية انتحارية غبية، بل إن دعوة هيكل الشعب الأميركية كانت مفهومة أكثر..)[9].

فهل هذه مقارنة صحيحة؟!

إنها مغالطات واضحة تفيض بالحقد والتعامي عن الحقائق، وتجافي العقل والمنطق!، ولا عتب على اللرزي ومجلته , لانها مجلة انظمة تحارية ,تنقل ما يردده الاعلام الحكومي.. إنما العتب على أولئك الذين انضموا إلى جوقة (الطبالين) وهم يتصورون أنهم يحسنون صنعاً..

وإلا فأي عقل وذوق ومنطق يقبل بالمقارنة الفجة هذه؟!

إن الدين لكلا الطائفتين مختلف.. والأهداف كانت مختلفة ومتباعدة بعد السماء عن الأرض، والوسيلة لتحقيق الهدف كانت مختلفة، فبينما قامت (هيكل الشعب) بالانتحار بالسم جماعياً، للتخلص من هذه الحياة، كانت جماعة جهيمان تدافع عن مبدأ حق، وتعلم ان الانتحار إثم، وقد قتل أفرادها حرقاً وحنقاً وبالرصاص ثم بالسيف في ساحات الاعدام على يد جلاوزة النظام الحاكم، ودفاعاً عن أهداف دينية وسياسية.. ولا نريد هنا أن نناقش كل الترهات التي أطلقها الاعلام السعودي وأمراء الأسرة الحاكمة، فالعاقل البصير يكتشف الحقائق التي جعلها السعوديون، بسبابهم وشتمهم واضحة كالشمس في رابعة النهار.

وما يهمنا من سيل الأوصاف والنعوت السعودية هذه، هو التوقف عند أمرين هامين:

أولا: لم يذكر أي مسئول سعودي اسم الجماعة التي قامت بالاعتصام.. لم يقل أحد منهم أنهم من جماعة "الدعوة المحتسبة" التي ترجع في جذورها إلى حركة الاخوان التي أسست الحكم السعودي، أو أنها امتداد لها.. ما هو السبب يا ترى؟!

هل أن النظام الحاكم وأمراء الأسرة السعودية عرفوا بأن أفراد الجماعة (خوارج، ومهووسون، ومجانين، وجهلة، وبغاة، وسذج، وظالمون، ومنحرفون.. الخ) ولم يعرفوا اسم الجماعة فتجنبوا ذكره؟، أم أن العملية مقصودة أساساً ؟!

إن الذي يستطيع أن يصدر بيانات تفيد بجنون المعتصمين، من السهل عليه أن يكتشف اسم جماعتهم وحركتهم، فكيف وصل آل سعود لمعرفة العقول ولم يعرفوا الاسم؟!

إننا لا نشك بأن الأمراء تغافلوا عن ذكر الاسم، لا لجهل منهم به، ولا لنسيانهم له، ولا لأن الاسم غير مهم في الوقت الذي كان العالم الاسلامي والعالم بأجمعه يبحث بين بيانات الحكومة المليئة بالاسفاف، عن شيء يرشدهم إلى معرفة الهوية والاسم.. وأن المسألة لم تكن مصادفة، لأن المسئولين الكبار في الأسرة تجنبوا عن سابق إصرار خلال المقابلات الصحفية، الاجابة على الأسئلة التي تشير إلى الهوية..

والعالم الاسلامي ـ وإلى هذا الوقت ـ لا يعلم هوية القائمين بالعملية، سوى ما أعلنته الحكومة أنهم مجموعة خوارج احتلوا الحرم.. فهل هذا التعريف كاف لتوضيح الحقائق؟، وكيف يخرج الرأي العام بنتيجة صحيحة طالما أن التعريف اقتصر على السباب والاتهامات؟!

لقد قدمت بيانات وزارة الداخلية، وتصريحات فهد ونايف وإخوتهما، مجموع الشتائم للثوار، على أساس أنها تعريف كاف لهم، فلم يقتنع بذلك الواعون من هذه الامة، فالجميع شعر بأن حلقات كثيرة من فصول عملية الحرم طمستها السلطة السعودية.. ومع هذا تصور آل سعود بأنهم أقنعوا العالم بما قالوه، ولكنهم بعد ذلك اعترفوا ـ ولأول مرة ـ بفشل إعلامهم، وراح كل منهم يلقي اللوم على الآخر، كما سيتوضح.

ثانيا: رغم أن اجهزة النظام وأقطاب الأسرة السعودية استخدمت عدة تعريفات ولم تستقر على واحد منها، فإن هذه التعريفات والأوصاف لا يجب أن تقبل لسببين:

الأول/ أنها مجموعة من الشتائم ولا تتعدى في واقعها أكثر من ذلك.

والثاني/ أن التعريفات صدرت من نظام يقف في الجهة الأخرى من المعركة مع المعتصمين، وبالتالي فهو ليس طرفاً محايداً وصادقاًً تؤخذ منه الحقائق، أو بالأحرى تؤخذ منه الاتهامات على أنها حقائق.. وكنا سنقبل بالاوصاف لو أن الذي أطلقها أناس محايدون يعرفون الجانبين على حقيقتهما، ومن ثم كنا سنعرف حقاً من هو الخارج عن الدين، ومن هو الزنديق، والمنحرف، والشاذ ؟!

وبعد هذا العرض السريع لاتهامات السلطة، سنحاول في السطور التالية توضيح هوية القائمين على العملية، وجذور تحركهم التاريخي..

قلنا أن المعتصمين ينتمون إلى (جماعة الدعوة المحتسبة)، التي هي امتداد لحركة "الاخوان" الذين قضى عليهم الملك عبد العزيز في أواخر العشرينات، بعد أن أسسوا دولته، وبعد أن قضى وطره منهم.

وهنا لا يسعنا أن نفرد بحثاً عن نشوء حركة "الاخوان" الأولى وكيف آلت نهايتها، ولكننا مضطرون إلى إلقاء بعض الاضواء الكاشفة السريعة حولها، لاستكمال حلقة التعرف على هوية المعتصمين في الحرم، وبإمكان من يريد الاطلاع أن يراجع الكتاب الذي صدر عن المنظمة مؤخراً حول هذا الموضوع بالذات، وهو (الاسلام والوثنية السعودية).

[1] ـ جريدة المدينة السعودية 1979/11/22م.

[2] ـ جريدة البلاد السعودية 1979/11/22م.

[3] ـ جريدة الرياض والجزيرة 1979/11/23م.

[4] ـ صحيفة الرياض السعودية 1979/12/9م.

[5] ـ الصحف السعودية 1979/12/10م.

[6] ـ الرياض 1979/12/5م.

[7] ـ الأنوار اللبنانية 1980/1/16م.

[8] ـ الحوادث 1980/1/18م.

[9] - الحوادث، المصدر السابق.

بداية "الاخوان"

وبداية الدولة السعودية

جاء الملك عبد العزيز إلى الحكم بانقلاب عسكري على ابن عجلان حاكم الرياض في يناير عام 1902م، وسيطر على المدينة بالقوة.. والمبرر الذي رفعه الملك حينها هو المطالبة بعودة ملك الآباء والأجداد، فلم يكن هدفه دينياً، بل هدفه الكرسي والحكم..

ومن الرياض قام ابن سعود بتجنيد بعض البدو والقبائل لمحاربة خصمه ابن الرشيد، الذي يتخذ من مدينة حائل مركزاً لحكمه، وذلك من أجل توسيع ملكه ليشمل معظم مناطق الجزيرة العربية التي كانت في العشرينات من القرن التاسع تحت سيطرة جده (سعود الكبير).

ورغم أن عبد العزيز أحرز بعض التقدم بمساعدة الانجليز، فاحتل بعض المدن جنوب الرياض، وحاول التوسع أكثر فأكثر.. إلا أنه عجز عن تحقيق ما كان يصبو إليه، وهو إسقاط حكومة آل الرشيد، وحكم الأشراف في الحجاز، وحكام عسير والجنوب..

في عام 1904م، احتل مدينتي عنيزة وبريدة وتوقف.. وفي عام 1908م واجه ابن سعود ثورات وتمردات في البلقان واليمن وغيرها من المناطق التابعة لدولة الخلافة..

فاستشار الانجليز على الاحتلال، وبعد تمنع - لأسباب تتعلق بوجودهم في الخليج، وعلاقاتهم مع تركيا - وافقوا على ذلك، فاحتل الاحساء بمعاونة الاهالي الذين سهلوا له الأمر من أجل الخلاص من فساد الحكم التركي، وكان الاحتلال عام 1913م/ 1331هـ.

في هذه الأثناء صعد نجم جماعة دينية أطلقت على نفسها (الاخوان)، تدعو للعودة إلى الدين، وما كان عليه السلف الصالح، وكانت هذه الجماعة قد بدأت في عام 1913م، بالتوسع من أجل إعادة المجتمع نحو الاسلام والاخوة الاسلامية، بدل الاقتتال والنهب والسلب، فوجدها الملك عبد العزيز - بعد عودته من احتلال الاحساء - منافساً لسلطانه، فحاول مراراً أن يقضي عليها بالقوة ولكنه عجز عن ذلك، وتدل المصادر التاريخية إلى أن عبد العزيز اصطدم مع فيصل الدويش زعيم (الاخوان) قبل أن يتحالف معه ثم ينتفض ضده.

وخلال عامي (1913 - 1915) جرب عبد العزيز أسلوب الاحتواء، فبعد زيارات ومراوغات وإظهار نفسه متدينا يحمل أهداف "الاخوان" التي يسعون إلى نشرها، استطاع إقناعهم بالانضواء تحت لوائه ورفع راية (الجهاد) لتوحيد جزيرة العرب بإسم الاسلام، ومنذ هذا الوقت (1915) اتخذت فتوحات عبد العزيز الصفة الدينية كما يؤكد كل المؤرخين، وبدأ "الاخوان" يوسعون من قاعدة عملهم ونشاطهم حتى أصبحوا جيشه، فحين يذكر المؤرخون كلمة (الاخوان) فهي ترمز بدقة إلى (جيش عبد العزيز)، فيقال جاء (الاخوان)، وقاتل (الاخوان)، وصلى (الاخوان)، وغير ذلك..

من جهته، تخلى عبد العزيز عن لقب (الأمير) أو (الشيوخ)، وسمى نفسه (إماماً) لتأكيد مساره الجديد، فكان "الاخوان"، حتى بعد أن أعلن نفسه (سلطاناً) ثم (ملكاً)، لا يسمونه إلا بـ (الامام)، وعليه.. فقد كانوا يأتونه بالخمس الذي يقره الشرع بالنسبة للإمام!!

وكان من ضمن ما اتفق عليه زعماء (الاخوان) مع عبد العزيز ان يدعو الأخير كل القبائل إلى الاستيطان لتشكل (هجراً)، وهي جمع (هجرة)، وهي المكان الذي يهاجر إليه.. فتتحول بعدئذ القبائل إلى جماعات مستوطنة تقوم بالزراعة وقت السلم، وتحارب مع الملك وقت الحرب، فيستطيع أن يعلمهم (التوحيد) - الدين الجديد!! - ويستطيع أن يثير حماسهم، وأن يعاقبهم أيضاً.. وهذا ما كان يطمح له ابن سعود.

فهو - أي عبد العزيز - لا يستطيع أن يتوسع أكثر مما توسع، لأن البدو الذين يعتمد عليهم لا يثبتون في أرض، وإن كانوا مستعدين للذهاب إلى أي مكان للقتال، ولكن وقت الهزيمة يتراجعون بسرعة، لانهم جاؤوا

للقتال من أجل المغنم والمال الذي يعطيهم عبد العزيز إياه.. أما المدن المحتلة فأفرادها مشغولون في زراعاتهم وتجارتهم، وهؤلاء لا يستطيعون مجاراته في مغامراته العسكرية.

أما (الاخوان) فهم نموذج فريد من نوعه، إنهم بدو في الأساس، استوطنوا بعض المناطق من أجل الزراعة وتعلم الدين وأصول الجهاد من أجله.. وبالتالي فهم بروحهم الدينية وقدرتهم على تحمل المصاعب ومشاكل التنقل، قادرون على الايفاء بمتطلبات المعارك كلما يدعون إليها، دون الحاجة إلى توزيع المال، ودون الخوف من الارتداد أثناء الهزيمة، لان الادبار في المعركة حرام.

إذن، فمن أجل أن يعطي لتحركاته صبغة دينية تمكنه من القتال وبعث النخوة وروح الجهاد في قواته، ومن أجل أن يكون هناك معين لا ينضب من المقاتلين الأشداء من الهجر الاخوانية، ومن السيطرة على البدو وتقييد تحركاتهم وإخضاعهم لسلطانه، قرر ابن سعود احتواء حركة "الاخوان" وتأسيس مثيلات لها بدعوة القبائل ـ وبالقوة ـ للاستيطان، وفي ذات الوقت دعا العلماء لتعليمهم بعض المسائل الدينية القشرية التي تزيد في تأكيد ولاء البدو لعبد العزيز، والقتال بإسم الجهاد، وشحنهم بمفاهيمهم غريبة تقول بأن غيرهم كفار تحل دماؤهم، وأنهم وحدهم المسلمون..

ولهذا السبب رفض ابن سعود عروض حاكم الأحساء ابن عمه (عبد الله بن جلوي) الذي نصحه بالاستمرار في مقاتلة بؤرة "الاخوان" الأولى، التي كانت (الأرطاوية) مرتعاً لها، وتذكر المصادر أن ابن جلوي شبهها بالنار التي تأكل ما حولها.

الآن.. بدأ ابن سعود يقاتل بإسم الاسلام، من أجل توسيع سلطانه ومملكته، وترك قوة (عودة ملك الآباء والاجداد) إلى حين..

وبدأت دورة الزمن، فما هي إلا سنوات قلائل حتى تحول "الاخوان" إلى قوة قال عنها أن عبد العزيز يستطيع أن يفتح بها ما يشاء، كيف شاء، أنى شاء.. فاكتسحت القوة الاخوانية الساحة السياسية للجزيرة العربية اكتساحاً، ولولا المعادلات الدولية التي كان يراها ابن سعود، لما احتاج الأخير إلى عشر سنوات لاحتلال بقية المدن والمناطق التي شكلت فيما بعد دولة آل سعود الحالية.. فقد كان بإمكان "الاخوان" القضاء على كل القوى الأخرى في ظرف سنوات قلائل جداً، مع العلم أن عشر سنوات هي قليلة بعمر الزمن (1915 ـ 1925).

لذلك يقول جلال كشك في كتابه (السعوديون والحل الاسلامي): (نجد أن من 1902م إلى 1915م، ـ وإن كان الخط البياني لصالح ابن سعود ـ إلا أن الحرب سجال، والكفتان تعادلت ـ كفة ابن الرشيد وكفة ابن سعود ـ من البكيرية إلى جراب.. ولكن بعد اتضاح الطابع العقائدي بالاخوان حسم الموقف تماماً، وأصبح الأمر هيناً بإرادة عبد العزيز، متى شاء أنهى دولة آل رشيد، فلما حانت اللحظة المناسبة أنهاها)..

ويقول مترجم الملك، محمد المانع في كتابه (توحيد المملكة العربية السعودية) ص113: (وكان استيلاء ابن سعود على كل من الحجاز وجبل شمر بسهولة، يرجع في الدرجة الأولى إلى جهد "الاخوان"، ولقد مر زمن في أواخر العشرينات من هذا القرن كانوا يسيطرون فيه على كل جزيرة العرب، وكان في استطاعتهم أن يضموا أي جزء منها إلى دولة ابن سعود لو سألهم أن يقوموا بذلك)..

وأما فيلبي ـ العميل الانجليزي المعروف ـ فيقول بعد أن يعدد معارك ابن سعود: (وقد نجح ابن سعود في حروبه هذه، وكان مديناً بهذا النجاح إلى قوات "الاخوان" على الخصوص).

وفي موقع آخر يقول: (لقد انتزعت الشوكة من حركة "الاخوان" الذين لعبوا دوراً بارزاً في خلق النظام ـ السعودي ـ الجديد، ولم يعد بإمكانهم تأدية أية خدمة نافعة أخرى)!!

وهكذا يتوضح دور "الاخوان" في إقامة النظام السعودي، رغم أن ما قاله مؤيدو آل سعود لا يفي بشيء من حقهم..

--

احتلال الحجاز والنهاية................

بعد أربع وعشرين ساعة من وقوع الحادث، وبعد تسرب الأنباء حول الاعتصام بداخل الحرم، نطق الحكم السعودي كفراً بعد أن صمت دهراً..

الحجاز كان آخر منطقة سمح الاستعمار الانجليزي لعبد العزيز باحتلالها، فاحتلت للقضاء على الشريف حسين وعلى مطالبه بأن تكون فلسطين للعرب وليس لليهود كما وافق عبد العزيز.. لقد عجز الانجليز في إقناع حليفهم الشريف حسين بالموافقة على أن تكون فلسطين لليهود، وهددوه بكلب الحراسة (عبد العزيز) وبقوات "الاخوان"، لكنه رفض.. فأعطى الانجليز بعدئذ الضوء الأخضر لإبن سعود حتى يحتل الحجاز، بعد أن عجز لورانس في إقناع الشريف وإرغامه!

بسهولة فائقة احتلت قوات "الاخوان" الطائف، وهزمت قوات الشريف حسين الضخمة، فاعملت في الأهالي ذبحاً وتقتيلاً، لأن الناس هناك كفار وهراطقة والمسلمون هم وحدهم!!، وبعد أيام احتلت مكة في أواخر عام 1924م، فيما هرب الشريف حسين للخارج إلى الأردن ومنها إلى (قبرص) منفاه الأخير الذي اختاره الانجليز له!

وفي ذات الوقت اعتصم الشريف علي، ابن الشريف حسين في جدة وقاوم من هناك، فحوصر لأكثر من سنة إلى أن استسلم وأنهيت دولة الاشراف بسقوط المدينة المنورة أولا، وجدة ثانياً.

في هذه الفترة عرف ابن سعود ان زمن الحرب ولى، وأنه آن الأوان للانكفاء وبناء الدولة، لأنه ليست هناك مناطق أخرى قابلة للاحتلال بعد التقسيمات الاستعمارية التي أظهرتها اتفاقية (سايكس/ بيكو).. فلا العراق ولا الأردن، ولا مناطق الخليج، ولا اليمن، يمكن أن يسمح الانجليز لابن سعود أن يحتلها، وإن كان في قدرته ـ من الناحية العسكرية ـ فعل ذلك، لأنها مناطق النفوذ الانجليزي، ولأن اتفاقيات فرنسا وبريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى تقضي بذلك.

بعد اسبوعين ـ تقريباً ـ من سقوط جدة، أعلن عبد العزيز نفسه (ملكاً) وتخلى عن لقب (الامامة)، فثارت ثائرة "الاخوان" لأن من دواعي قتالهم الشريف أنه أعلن نفسه (ملكاً)، وكان ابن سعود يشحن "الاخوان" لقتال "ملك العرب" الحسين بن علي!.. فكيف يقبل هو الآن بلقب (الملك)؟، وكيف يشرك نفسه مع الله باتخاذ اسمائه، فيقال له (صاحب الجلالة، والمعظم، وصاحب السمو)!؟

في هذا الوقت دخل عليه جماعة "الاخوان" وعلى رأسهم سلطان بن بجاد قائد الجيش السعودي الذي احتل الطائف ومكة ثم جدة وهم شاهرين سيوفهم، مستنكرين فعلة الملك، ومهددين بالقتل إن لم يتخل عن اللقب، فوعدهم خيراً، ولكنهم حين خرجوا فاجأ المجلس بكلام جديد، وهو التشنيع بفعل "الاخوان" ووصمهم بالجهل والتخلف، وأنهم ضد المخترعات "التلفون" وغيره!!

وقد كان هذا الموقف دليل تبدل في موقع الملك السعودي، فأظهر ما أخفاه طيلة عشر سنوات، ضحك فيها على "الاخوان" والمشايخ، بأنه ينهج نهجهم ويسايرهم.. لقد تحقق لابن سعود ما اراد فأعلن الحجاز وملحقاتها!، ولم يعد يعبأ بالعلماء او بـ "الاخوان"، لأنه استنفذ أغراضه منهم!!

وجاءت المشكلة الأكبر، وهي أن عبد العزيز يعلم أن (الجهاد) الذي أطلقه ضد معارضيه لا يقف عند حد.. فأهل الكويت والعراق وسوريا ومصر واليمن ومشيخات الخليج وغيرها، كلهم كفار كما كان الكفار في دين الاسلام!!، بيد أن الأمور انتهت من الناحية الاقليمية، فوضع التجزئة الذي رسمه قابل للاختراق، وهذا ما لا يفهمه "الاخوان"، وإن فهموه فهم لا يعبؤون به، فالجهاد ليس له حدود، والانجليز وغيرهم لا يخيفون "الاخوان" المتحمسين لقتالهم.

وبدأ تمرد "الاخوان" بعد عودتهم من الحجاز، فأثاروا أهالي نجد ضد الملك الذي (تغير)، فأسر الأخير إلى الرياض لضبط الأوضاع المتسيبة التي سببها تمرد "الاخوان" الذين أصدروا بياناَ يبين سبب تمردهم، والذي يتلخص في أمور أهمها:

(أن ابن سعود أصبح ملكاً ويتصرف كالملوك، وأنه يأخذ ضرائب بغير حق، وأنه يعطل الجهاد، وأنه يوالي النصارى)..

وأصدر علماء ابن سعود بياناً رداً على "الاخوان" يدين في جانب منه عبد العزيز، ولكنهم ختموه بأن لا يجب الثورة على (الامام!!) إذا خالف أوامر الشرع!!

لم يقتنع "الاخوان" بل توجهوا إلى الشمال، وهناك بدأوا بالهجوم على المركز الحدودي إلى الشمال، وهناك بدأوا بالهجوم على المركز الحدودي العراقي في (بصية)، واستولوا على ما فيه، فتحركت جماهير "الاخوان" بعشرات الآلاف تطالب بالقتال مع الدويش متمرد على أوامره، وطالب بإعادة ما أخذ من المركز، وقطع اعطيات جنده وكل من ينضم إليه، وأبلغ بريطانيا والانجليز في العراق والكويت أن ما فعله الدويش ليس بأمره وأنه يستعد للقضاء عليه..

ويصف المندوب السياسي البريطاني (ديكسون) في كتابه (الكويت وجاراتها) ما جرى بعدئذ بين قادة "الاخوان" وابن سعود كالتالي:

(كانت خطتهما ـ الدويش وابن بجاد ـ وضع ابن سعود في مأزق لكي يتسنى له احراجه حسب الحجة الآتية: يا عبد العزيز، انت كأمام كنت تدعو إلى الجهاد ضد الكفار والمشركين، لطالما دعوت وكررت الدعوة إلى أن العراق كدولة يجب أن يدمر، وأن كل ما يؤخذ من أهله حلال.. ولطالما رددت قول القرآن الكريم لاثبات أن كل الاعمال التي يقوم بها المؤمنون ضد الكفار والمشركين يجب أن يكافأوا عليها، والآن، وبأمر من الانجليز الكفار أنفسهم، تدعونا نحن فرسانك المختارين، سيف الاسلام، إلى إعادة ما اخذناه، لأنك تعتبر ما فعلناه خطأ، فأما أن تكون أنت دجال منافق تحب ذاتك وتبحث عن منفعتك، وإما أن يكون القرآن غير صحيح!، فليحكم علماء نجد بيننا)..

ويضيف ديكسون (ومما لا شك فيه أن الرعب دب في قلبه ـ أي قلب ابن سعود ـ بحيث أنه لم يفكر قط في عرض القضية على أية هيئة من علماء الدين، وبدل أن يقرر القطيعة مع البريطانيين، قرر ضرب "الاخوان" بسرعة مرة واحدة وإلى الأبد)..

وهنا أذاع ابن سعود بأن الدويش وابن بجاد واتباعهما هم من الخوارج، وأصدر رجال الدين ومشايخ الملك الفتاوى التي تنعتهم بذلك، والتي تجيز قتالهم، فجاءت معركة السبلة في (1929/3/29م).. فـ"الاخوان" الذين تبعوا قيادتهم "الدويش" كانوا عشرة آلاف مقاتل، وأما الملك فكان معه (40) ألف مقاتل من البدو والقبائل الأخرى، مع هذا أصيب الملك بالهلع وكذلك حاشيته لأنهم يعرفون بأس "الاخوان" وقد توقع مترجم الملك الذي رافقه في المعركة كما يذكر في كتابه (الموت أو الهرب)!!

لكن ـ المترجم ـ يعترف بأن المدافع الرشاشة "الجديدة" التي سلمها الانجليز لابن سعود، هي التي حسمت المعركة من البداية، خاصة وأن "الاخوان" لم يكونوا يعلمون بها.. فهزموا وجرح الدويش وقتل (500) من أنصاره، وانسحبت قواتهم إلى هجرتهم الأولى (الأرطاوية)، فلحق به الملك وأراد أن يعتقله، ولما جيء بالدويش محمولاً على نعش، تصور الملك أنه سيقدر على اعتقاله، لكنه علم قبل ساعات أن جيش "الاخوان" يحيط بالمعسكر، وأنه إن قتله فسيقتل هو أيضاً، فتركه، خاصة وأن طبيبه أكد له بأنه جراحات الدويش ستقضي عليه سريعاً "وهي جراحات كبيرة استغرب المانع في أنها لم تقض عليه!!".

بعدها توجه الملك إلى شقراء، وطلب مقابلة ابن بجاد الذي هو أقوى من الدويش، ومع أنصار أكثر يبلغون (30) ألف مقاتل.. فجاء ابن بجاد وحده مع قلة من أنصاره للمباحثة، فاعتقله وأرسله إلى الرياض وأنهى الأزمة..

ويعلق (ديكسون) على هذه الخيانة والغدر بقوله: (شتت ابن سعود اتباعهم ـ أتباع الاخوان ـ بعمل وصفه أصدقاؤه بانه عقاب حق، ووصفه أعداؤه بانه الغدر بعينه، ويمكن إرجاع ثورة الدويش التالية التي كلفت ابن سعود كثيراً إلى هذه الحيلة ـ الخيانة ـ غير الملكية، لأن العربي لا ينسى)..

لم يمت الدويش وإنما انطلق شرقاً يقود أعداداً كثيرة من "الاخوان" ومن أفراد قبيلة عتيبة ومطير، وبعد فترة قتل ابن الدويش (عزيز) وقتل ابن حثلين غدراً، بالطريقة ذاتها التي استخدمها ابن سعود مع ابن بجاد، ولكن تمت الخيانة هذه المرة على يد ابن حاكم الأحساء.. وبعدها راح الدويش يهاجم في العمق، في نجد، فظهر له الأنصار هذه المرة والمؤيدون من "الاخوان" غير أن الملك ـ وباتصالاته ـ حاصر الدويش شرقاً (الكويت) وشمالاً (العراق)، وهاجمتهم طائرات ومدرعات انجليزية، فاستسلموا قبل أن يصل الملك لقتالهم،

بتاريخ 1930/1/10م، وهم (الدويش، ونايف بن حثلين، وسهود بن لامي)، وأخذهم سلاح الطيران الملكي البريطاني إلى البصرة، ثم وضعوا على ظهر سفينة حربية بريطانية إسمها (لوبن) في شط العرب، وبعد اسبوعين نقلوا جواً إلى معسكر ابن سعود في (خباري وضحة) بتاريخ 1930/1/28م وسلموا إليه، فأودعهم (سجن) في الرياض وانقطعت أخبارهم.. لكن بتاريخ (1931/10/3م) أعلنت الحكومة موت الدويش في السجن، وعلم أن السرطان قد أصاب حلقه فترك دون عناية إلى أن مات.

أما البقية، فقد نقلوا إلى سجن (العبيد) بالأحساء تجنباً لاثارة النجديين وبقايا "الاخوان"، وهناك لقوا حتفهم وانقطعت أخبارهم.

وبعد مرور أقل من سنة على مقتل الدويش، أعلن الملك بتاريخ (1932/9/18م) بتغيير اسم البلاد إلى (المملكة العربية السعودية) وعين فيما بعد ابنه سعود وليا للعهد، وهكذا انقلبت البلاد بغناء "الاخوان" رأساً على عقب!

البعث الجديد ....

مع بداية الثلاثينات الميلادية، كان التيار الديني يسير بسرعة مدهشة نحو الانحدار والتراجع، وزاد تسارع الانحدار بظهور النفط، وتأكد في الخمسينات والستينات. وفي منتصف السبعينات بلغ التراجع مداه بعد الطفرة البترولية، واستمر التراجع حتى انتفاضة الحرم، ومع بداية الثمانينات بدأ المؤشر يرتفع شيئاً فشيئاً..

وفي جانب الدولة وعرش الحكم، فقد بدأ استقراره رغم الأزمة المالية في الثلاثينات، لكنه سرعان ما تقوى بعد الحرب العالمية الثانية، وبدأ الانتاج الفعلي للنفط يأخذ دورته، ولما مات الملك ابن سعود (1953) جاء ابنه سعود، وزادت مداخيل النفط التي عززت اجهزة الدولة، وفي العموم كل مؤشر استقرار النظام في ارتفاع حتى منتصف السبعينات، ثم بدأ العد العكسي إلى الآن، خاصة بعد انتفاضة المحرم 1400هـ/ نوفمبر 1979م.. مع ملاحظة فترة عدم الاستقرار في الفترة الواقعة بين عامي (1958م/ 1964م) التي كانت فترة صراع بين أجنحة الحكم، وهي الفترة التي نمت فيها المعارضة أكثر فأكثر..

بالنسبة للتيار الديني يمكن إرجاع انحداره إلى عوامل عديدة أهمها:

1/ القمع الحكومي الذي سلط على خلاصة أفراد حركة "الاخوان"، فكانت تصفيتهم، ومن ثم جاء التراجع لعدم وجود قوة معارضة تحمل فكرة جهاد الحكام السعوديين الفاسدين، وتحاسبهم وتضغط عليهم باتجاه التمسك بأهداب الدين ـ على الأقل ـ حتى العلماء في تلك الفترة، والذين ارتخت قوتهم بارتخاء قبضة "الاخوان" الذين كانوا السبب في علو نجمهم، حتى هؤلاء كان النظام قد احتواهم وأشغلهم بالتوافه، ودجنهم بالأعطيات والرواتب والهبات، فصاروا له بوقاً، بدل أن يكونوا أداة للإصلاح ومعارضة النهج الحكومي الفاسد.

2/ مداخيل النفط أثرت بشكل كبير ـ خصوصاً منذ بداية الخمسينات ـ على الوضع الاجتماعي، وعرضته للهزات والقلاقل.. فتبدلت قيم، وانهارت أفكار، وتحطمت قناعات، وتغيرت مسالك وتوجهات.

فالنظام الذي بدأ مستقراً، بدأ بالانفتاح على الخارج، وبدأت عوارض الأمراض الاجتماعية تفد إليه، والتكنولوجيا غزت العقول وبدلت في الأفكار، وصاغت قناعات جديدة ورسختها في أدمغة الأجيال الجديدة.. الراديو والتلفاز بعدئذ، والمواصلات البرية، والصحافة، والمستهلكات الأجنبية، كلها صنعت من المجتمع المنغلق على ذاته، مجتمعاً مفتوحاً بدون ضوابط.

والأموال، أموال النفط، التي تسرب جزء منها إلى الموظفين وصغار العمال، خلقت طبقة وسطى جديدة تنفق على المستوردات الأجنبية، وتتغنى بتقليد ومحاكاة الآخرين، يساعدهم في ذلك ما تبثه أجهزة الاعلام من أفكار شاذة وغريبة، وتقاليد فاسدة هي أبعد من أن تنبت بحالها في أراضي البلاد.

ولما زاد المال وكثر وسهل جمعه وبعثرته، بدون توجيه وإرشاد، ظهرت إلى السطح أمراض المجتمعات الغربية، ودب التحلل والفساد الأخلاقي في أوصال المجتمع، وأضحى السكان يعيشون عشرات المتناقضات في حياتهم اليومية.. وهكذا أدى النفط دوره في زيادة دخل الأفراد، لكنه قلب الوضع الاجتماعي رأساً على عقب.

3/ المؤسسات الدينية تتحمل الدور الأكبر فيما وصل إليه المجتمع، فهي من جهة كانت السبب الأول في ديمومة النظام السعودي الفاسد المعادي لله وللإسلام، بمساندتها له وإضافئها الشرعية على ممارساته، وباتهامها كل المعارضين له بأنهم خوارج أو ملاحدة.

ومن جهة ثانية كانت المؤسسة الدينية ـ ولا زالت ـ غارقة في القشريات والتوافه والانغلاق والجهل بالعالم وبأوضاع المجتمع وما طرأ عليه، وهي بهذا لم تكن بمستوى التحدي الحضاري الذي كاد أن يقضي على كل اساسيات المجتمع..

في فترة العشرينات كانت المؤسسة الدينية طليعة المجتمع المثقفة والمتعلمة بحساب ذلك الزمان، وفي الخمسينات والستينات والسبعينات بدأ المجتمع انطلاقته نحو التعليم، فتأخرت المؤسسة عن ركب العلم، وانفصل المثقفون عن رجال الدين لأسباب قد يكون منها جمودهم، ونوعية المعارف التي حصل المتعلمون عليها، وهي بالطبع علوم، ولكنها ليس علوماً دينية، إن الانفصال الذي أدى إلى الاستهزاء بالمؤسسة الدينية ما كان ليتم لولا مناهج التعليم الفاسدة، ولولا عدم إحاطة المشايخ بالعلوم الحديثة وما استجد في العالم من اكتشافات ومخترعات وتطور.. وبقائهم على حالتهم السابقة منذ بداية القرن.

ومن جهة ثالثة، كانت المؤسسة الدينية ـ ولا تزال ـ بمجمعها، مقصرة ايما تقصير في التوجيه والارشاد الاجتماعي، ولا نقول السياسي، فلا هي ساهمت في حل المشاكل بتوضيح الطريق ورؤية الدين تجاهها ولا هي كثفت جهودها في محاربة التيارات السلوكية الوافدة أو على الأقل حذرت منها، بل ولم تضغط على السلطة باستخدام قبضتها ؟؟؟ لوضع حد للتجاوز المشين لكتاب الله وسنة رسوله.

ومن جهة رابعة، كانت سلوكيات مشايخ السلطة ـ ونقول الكثير منهم وليس كلهم ـ هي الأخرى بعيدة عن أن تكون مثالا وقدوة للآخرين.. فبعضهم قبل بدور الجاسوس، والبعض الآخر قبل بدور المفتي، والثالث قنع براتبه ومسكنه والعيش المرفه، والرابع قنع بزيارة الملك كل يوم اثنين وشرب القهوة معه (!!)، والخامس قبل أن يكون من حاشية الملك أو الأمير الفلاني والعلاني، فيكون ضمن الوفود المستقبلة والمودعة وما شابه ذلك..

ترى لو أن عشرة (فقط) من رجال الدين قاموا بدورهم الصحيح والذي يطلبه الله منهم، هل كانت البلاد لتصل إلى ما وصلت إليه؟!

نشك في ذلك..

العودة من جديد ....

في أواخر الستينات الميلادية، الثمانينات الهجرية، شعر رجال الدين أن البلاد تغيرت من رأسها إلى قدمها خلال فترة لا تتجاوز ثلاثة عقود، وكان بعضهم ممن ساهم في بناء (هجر) الاخوان، قد لحظ هذا التغير الطاريء، وإن كانت الملاحظة متأخرة جداً.. فقد نبت جيل بكامله في أوضاع متردية من الناحية الدينية، وتفتحت مداركه على بيئة اختل توازنها، وفقدت حيويتها وجديتها والتزامها، فنشأ هذا الجيل والذي تلاه حياة اللامبالاة والخمول والكسل، حياة الضعف والهزيمة والحقارة الذاتية، فيما كانت جحافل الغرب (أفكاره ومصنعاته، وتقاليده وقيمه، وخبراؤه، وعلومه، ودعاياته) تكتسح ساحة البلاد من أقصاها إلى أدناها.

أواخر الستينات كانت البداية لعودة شيء من الوعي لبعض رجال الدين، مع أنها كانت بداية سطحية ولازالت.. رجال الدين الذين يستطيعون في كل زمان ومكان أن يغيروا دولا، ويسقطوا أنظمة، إذا كانوا بمستوى المرحلة والتحدي، أحسوا بضرورة القيام بالدعوة من جديد..

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي بدأت في النصف الأخير من القرن الثامن عشر، انهارت بعد أن كونت دولة ممتدة من اليمن جنوبا إلى العراق وحدود الشام شمالاً، ومن الخليج شرقاً (عمان والبحرين والأحساء) إلى البحر الأحمر غرباً، انهارت الدولة بعد وفاة محمد بن عبد الوهاب إثر الانحراف الشديد الذي أصاب الدولة والقيادات السعودية، فدكتها مدفعية محمد علي باشا بمباركة الرأي العام الاسلامي.

وجاء التجديد والبعث على يد (الاخوان) الذين هم امتداد لجيل القرن الثامن عشر الذي بنى الدولة السعودية الأولى، فبنوا دولة آل سعود الأخيرة، ولكن ما لبث أنقضي على المؤسسين، وانفصل الدين عن الدولة، وآلت البلاد إلى الفساد والتراجع..

في هذه الفترة (1960م)، أسست الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة، بضغوط ودعوة من رجال الدين، فاستجاب الملك لهم وأعطاهم أحد قصوره كمقر للجامعة، وعين الشيخ عبد العزيز بن باز أول مدير لها..

وباتفاق مسبق بين مفتي الديار السعودية وأكبر رجل دين في ذلك الوقت (محمد بن إبراهيم آل الشيخ)، وبين الشيخ ابن باز، على القيام بالدعوة من جديد بعد أن كثرت المفاسد، نبتت البذرة الأولى لما يعرف الآن باسم (الدعوة السلفية)، والتي هي امتداد لدعوة (الاخوان) ولدعوة (محمد بن عبد الوهاب)..

الحجاز الذي كان آخر المناطق التي احتلها السعوديون يختلف كثيراً عن نجد (معقل الأفكار الوهابية)، خاصة وأن هذه الأفكار لم يتح لها فرصة الترسخ بفعل السلطان والقوة، لأن الدولة السعودية التي دشنت عهداً جديداً، لا يهمها أن تكون هذه الأفكار موضع رسوخ.

ومن جهة أخرى كان الحجاز مرتعاً لكل المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة، بسبب انفتاحه على الحجاج الوافدين.. ويبدو ـ للأسف ـ أن المشايخ "مشايخ الوهابية" كان همهم في بداية دعوتهم أن يقفوا أمام المذاهب الأخرى التي تتعارض مع مذهبهم، الذي يعتبرونه صحيحاً وما عداه باطلاً، وأنهم إذا لم يظهروا مذهبهم فإنهم يخافون بأن يعبد قبر الرسول وتشوش العقائد!!

ولا يفوتنا هنا أن نذكر بأن الدعوة السفلية الجديدة هذه، كان لها تواجد ضعيف في الحجاز، ممثلاً في (دار الحديث) التي ضمت فيما بعد للجامعة الاسلامية، من أجل تخريج دعاة للمذهب الوهابي.

بدأت الجماعة بأفراد تحت رئاسة الشيخ بن باز، وبدأت بالقاء الدروس في المساجد وتعليم الناس علم التوحيد على رأي محمد بن عبد الوهاب.. بعدها تطوع أحد المريدين ببيت ومسجد في المدينة المنورة وهي المقر الأساسي للدعوة، نظراً لوجود بن باز، والجامعة الاسلامية، لكي يكوناً مكاناً للتجمع والالتقاء.

واستمرت الجماعة التي اطلقت على نفسها بعدئذ، جماعة (الدعوة المحتسبة) في التوسع شيئاً فشيئاً، حتى تضخمت في بداية السبعينات الميلادية، وتحولت إلى تجمع فاعل له ق ياداته وموجهوه، فأنشيء قسم للرحلات، وآخر للضيوف، وثالث للسفر إلى القرى من أجل الوعظ والارشاد.. وتزايدت البيوت والمقرات، كما تزايد الخطباء والوعاظ والمشايخ، وانطلقت الجماعة بعدئذ فأسست ما أسمي بـ (بيوت الاخوان)، في جدة والطائف والرياض والقصيم وغيرها، وكان من جملة نشاطات بيوت "الاخوان" استضافة عابري السبيل، وبث الدعوة بالدروس اليومية، وتعليم القرآن والحديث، إضافة إلى المحاضرة الاسبوعية، حيث يستضيف بيت "الاخوان" في المدينة في أحد المشايخ كل اسبوع مرة، وبعد إلقاء محاضرته يعلن اسم الشيخ المحاضر في الأسبوع الذي يليه وهكذا.

ومن المشايخ الذين داوموا على الحضور، أبو بكر الجزائري مسئول الجماعة الذي عينه ابن باز، والشيخ العامودي، والشيخ العشماوي، وشيخ يسمى بـ (عبد الفتاح) وغيرهم. من جانب آخر قسم أفراد الجماعة في المدينة المنورة إلى أقسام، بعضهم كان مسئولاً عن الرحلات (وكان المرحوم جهيمان رئيس هذا القسم)، وقسم للتبليغ في القرى والأرياف، وقسم للضيوف، وقد استفاد الشيخ بن باز من موقعه في إقامة شبكة اتصالات مع أفراد في مدن مختلفة من البلاد، وكان هؤلاء هم رسل الجماعة، إضافة إلى أنه كان يرسل إلى (بيوت الأخوان) هناك، مشايخ لتوعيتهم في يومي الخميس والجمعة..

ومع أن بيوت "الاخوان" في مختلف المناطق والمدن لم تكن كثيرة جداً، إلا أنها كانت مقرات منظمة.. وقد ساعد قسم التبليغ على ربطها ببعضها، لأن أفراد هذا القسم انطلقوا إلى القرى المحيطة بالمدينة مثل (النخيل) وغيرها، وراحوا يروجون لأفكارهم وتصوراتهم..

ولم تكن مقرات "الاخوان" خالية طوال أيام الأسبوع، بل إنها كانت تمتلئ بالشباب من مختلف البلدان (اليمن ـ تونس ـ المغرب ـ مصر ـ الأردن)، وكان مجمل الحديث والنقاش يدور حول السيرة النبوية وتدارس القرآن،

والتباحث في بعض المسائل الفقهية، لكنها لم تتطرق إلى أي من الأمور السياسية والأمراض الاجتماعية التي يعج بها المجتمع، إلا على يد المرحوم جهيمان، حيث انفصل بعدئذ وكون له جماعة خاصة به.

أما الدولة، فإنها لم تنظر إلى الدعوة في باديء الأمر كخطر محتمل يمكن أن يهددها في المستقبل، ولربما وجدت فيها أداة مساعدة على بث ما تريده، ومحاربة التيارات الفكرية الوافدة التي أتاحها عهد الانفتاح، خاصة وأن تأسيس الجماعة كان في خضم أزمة الصراع بين الملك سعود وأخيه فيصل، وبين سعود وجمال عبد الناصر، مما لم يتح لأحد أن يقيمها على حقيقتها، بيد أن الحكومة كانت تنظر إليها وإلى كل تحرك ديني آخر على أنه يصب في جدول أرباحها، ويدل في إطار صراعها مع الآخرين.

ولربما رأى الملك سعود أن رجال الدين يجب غض النظر عنهم، خاصة وأن سخطهم من تصرفاته وسلوكياته الفاسدة قد ظهر إلى السطح.. ثم إن قادة الجماعة مشايخ معرفون بولائهم للحكم السعودي، وأن اعتراضهم هو شكلي ولا يمس الجوهر، ونعني به أصل النظام القائم، فضلاً عن أن الجماعة بعيدة عن السياسة وأوضاع المجتمع.

وعلى العموم، قوبل إنشاء الجماعة بالترحيب من معظم الشخصيات الدينية النجدية، وكان المعارضون كثيرون ومن منطلق مذهبي أيضاً.. فمشايخ الحجاز رأوا فيها إحياء للفكر الوهابي، وضرباً للمذاهب الأخرى، والمعارضون لآل سعود، وجدوا فيها أداة إضافية لقهر المجتمع باسم الدين، لأن الدولة تستغلها لصالحها..

ولأن الجماعة نشأت تحت سمع وبصر الدولة فلم تلق معارضة منها، فقد انخرطت مجموعات كبيرة في صفوفها، حيث لم تكن هناك شروط للراغبين بالانضواء، سوى تسجيل الأسماء ودفع مبلغ صغير من المال إلى بيت "الاخوان"، وحتى هذا المبلغ لم يكن إلزاميا.

وبعد أن ثبتت الجماعة أقدامها، ورتبت بيوتها ـ بيوت الاحزان ـ وانطلق أفرادها إلى المناطق الأخرى (الأحساء ـ تبوك ـ أبها) وغيرها، عقدت تحالفاً وثيقاً بأهل السنة والجماعة، وهي جماعة نشأت في مصر، وأصدرت مجلة اسمها مجلة التوحيد، وكان "الاخوان" يوزعونها ويبيعونها في مقراتهم، بل إن بعض مشايخ أهل السنة والجماعة وقفوا معها أثناء تواجدهم للتدريس في الجامعة الاسلامية، كالشيخ سعد ندا، والشيخ حسين الملا، إضافة إلى المشايخ الآخرين الذين كانوا في الجامعة الاسلامية (أبو بكر الجزائري ـ رئيس الجماعة) و (الشيخ العامدي ـ مدرس في جامعة محمد بن سعود)، و(الشيخ محمد الأنصاري).

الانشقاق ....

كان آخر ما تصوره آل سعود أن تبنت جماعة معارضة في رحم الدعوة السلفية، تطالب بإزالتهم وتكفيرهم.. وكيف يكون ذلك وهم الذين يتبنون المذهب الوهابي ويدعون إليه، بل ويجيرون الآخرين على تبنيه والأخذ به!؟..

كيف يحدث ذلك والمشايخ معهم؟، كيف ينقلب السحر على الساحر هكذا بسرعة!؟

في أحد بيوت الجماعة في المدينة المنورة، كان المرحوم جهيمان العتيبي المسئول الأول عن قسم الرحلات، وكان ذا قدم سابق في الدعوة، وقد أنفق الكثير من أمواله وممتلكاته من أجلها.. وفي عام 1976م اختلف مع المشايخ حول أمر واحد ومنه تفرعت بقية المسائل، إلا وهو (وجوب مقاومة الحكم السعودي) لأنه حكم قائم على الباطل.

أخذ جهيمان بإثارة الاشكالات حول الحكم السعودي في بيوت الاخوان بالمدينة المنورة، وبدأ بمسألة البنوك الربوية الحكومية والأهلية والأجنبية المنتشرة في البلاد، وقال إن هذا كفر صريح.. وتلاها بطرح مفاسد الأسرة الحاكمة وعدم حلية بيعتهم وتكفيرهم، ثم ناقش قضايا سياسية من منظار فقهي، وأثار قضية كبرى أزعجت الدولة حين قام بتشطيب صور الملوك على النقود بالحبر الأسود..

العلماء والمشايخ سكتوا عن جهيمان في البداية لسببين:

الأول: أن ما يطرحه هو حق وواضح ولا يخالف معتقدهم.

وثانيا: لأن جهيمان ليس شخصاً عادياً، بل هو من أوائل السفليين الداعين لفكر الجماعة، وقد قدم عشرات الخدمات لها وأنفق مما عنده من أجل نموها.

لكن الأمور والاشكالات وصلت للدولة، فبدأت تحقق، وقامت بزرع جواسيسها في المقرات، وطالبت بن باز بردع جهيمان والدفاع عن الدولة وأفكارها، في الوقت الذي بدأ الانشقاق يتسع بين الأفراد، فهذا مؤيد وذاك معارض، وآخر انسحب من الساحة، ورابع متذبذب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.. وهكذا.

الحكومة خافت أن تضرب جهيمان ومؤيديه بالقوة قبل أن تستحصل على فتوى من العلماء، أو على الأقل قبل أن تعزل جهيمان وتضع حداً لتأثيراته على بقية الأفراد.. وقد اعترفت السلطة على لسان وزير الداخلية بعد حادثة الحرم بأن الجماعة معروفة لدى الدولة، وأن الدولة عاملتهم بالحسنى هو لأن بعض المشايخ تدخلوا من أجلهم.. وهذا التدخل هو الذي دفع بوزير الاعلام أن يقول بعد الحادثة أن التصور الحكومي هو ان المشايخ قاموا بعمل (ما)!! مما يعطي انطباعا عاماً أن جماعة جهيمان كانت مؤيدة من قبل بعض المشايخ ـ أو لا أقل ـ كان المشايخ يتعاطفون مع أهدافها ولا يريدون لها سوءاً يأتيها من آل سعود.

هنا دعت الدولة إلى مناظرة جهيمان وجماعته، وجاءت ببعض المشايخ لكي يقنعوهم بعدم صوابية أفكارهم (المتطرفة!!).. حضر "الاخوان" ـ جماعة جهيمان ـ ويقال أن جهيمان لم يكن بين الحضور.. فطرحوا إشكالاتهم واحداً واحداً، فما استطاع العلماء إلا لفلفة الأمور..

قالت الجماعة للمشايخ ـ وكان على رأسهم بن باز ـ إن البيعة لا تجوز لآل سعود، لأنهم ليسوا من قريش، ولأن سيرتهم تخالف الاسلام، ولأن بيعتهم كانت بالجبر والقهر.. فرد العلماء بأن الدولة السعودية أفضل من غيرها، ولا زال فيها بعض الخير، ولا يمكن مقارنتها بالدولة العربية الفلانية أو العلانية.. وأضافوا بأن الشيوعية سوف تسحق الاسلام إذا سقطت هذه الدولة في براثنها، وأن معارضتها تؤدي إلى ذلك!!

بالطبع هذا الجواب لا يقنع حتى الاطفال، وهذا هو الذي حدا بجهيمان أن يكتب في إحدى كراساته ساخراً حول هذه المسألة.. فحين يطالب بالحكم الاسلامي وإسقاط الدولة السعودية، لوحوا له بخطر الشيوعية!

مسألة البنوك طرحت على بساط البحث، حيث أبدى أفراد الجماعة استنكارهم للربا الذي تتعامل به البنوك، فرد العلماء بأن البنوك لا تتعامل به صراحة، وإن كانت الفائدة في مقام الربا، لكن هذا ليس خطأ آل سعود وحدهم، وإنما العالم الاسلامي جميعه، لأن البديل الاسلامي غير موجود، وكل العالم يتعامل بغيره.. فردوا بأن المسألة تتعلق ببلادنا أكثر من غيرها، لأن الدولة ترفع شعار الاسلام وحماية الحرمين ثم تتعامل ببنوك ربوية، وتسمح للبنوك الأجنبية بالتعامل ذاته، وأن بلادنا تختلف عن بقية البلاد، وإذا كان مثل هذا الأمر مقبولاً في بلاد أخرى، فهو هنا ليس مقبولا، ونحن لا نقبل بتجاوز الشرع تحت أي ذريعة.

وأثيرت مسألة تشطيب أفراد الجماعة على الصور، فأجاب أحدهم بصراحة بأن التصوير (حرام!!) والصور التي تطرح على النقود مخالفة للشرع (حسب رؤية الوهابيين جميعهم)، ولهذا فإن إزالة المنكر واجبة، فرد عليهم العلماء بأن كلامهم صحيح وأن الصور حرام، لكن التشطيب بالحبر الأسود أمر يمس الدولة وأمنها، وفيه تجريح لأشخاص ـ اصحاب الصور ـ

ثم إن التشطيب يؤدي إلى بلبلة في المجتمع، ويدفع بآخرين إلى معارضة الدولة، فتسوء أحوال الرعية وتؤول مصالح الناس إلى الخراب والهاوية..

رد أحد أفراد الجماعة على المشايخ، بأن من واجبنا أن نشطب بالحبر على الصور، وهذا الواجب هو لمصلحة المسلمين حتى لا يعبد الناس أشخاصاً ويقدسونهم ويضعونهم بمنزلة الآلهة.. وأنه إذا كانت الدولة حريصة على أمنها، فلتلغ الصور، وكفى الله المؤمنين شر القتال!!

وهكذا لم يقنع العلماء الجماعة بهذه النقطة أيضاً..

طالت الجلسة دون أن يستطيع المشايخ من إقناع أفراد الجماعة، وحين شارفت النهاية بادرهم أحد المشايخ قائلا بأن معارضتكم للدولة فيها إساءة للدعوة، لأنها الآن تكتسح الساحة، وبعلمكم هذا سينفض الناس عنها، لأن الناس وجد فيها دعوة خير، ليس فيها سياسة، وأن الناس منذ أن عرفوا بأمركم باتوا يتهيبون من القدوم إلى بيوت "الاخوان".

وأضاف بأن الدولة فتحت عينيها، وهي لن تترك الأمور تمر بسهولة بعد الذي جرى، وأنتم تعلمون بأنها ستدس الجواسيس ليأتوها بالأخبار حفاظاً على أمنها، وعليه فإن كنتم حريصين على الدعوة، عودوا إلى ما كنتم فيه واتركوا التطرف.

عادت الأمور إلى ما كانت عليه فاتسع الانشقاق، والغريب أن المشايخ لم يفلحوا في الترقيع، لأن مطالب جهيمان واستشهاداته بالانحرافات الواضحة في المجتمع أججت مشاعر الكثيرين، فانضموا إليه، خصوصاً أولئك المتنورين من أساتذة وطلاب الجامعة الاسلامية الذين تركوا مواقعهم والتحقوا به في الصحراء، وهناك تدربوا على السلاح وتفرقوا لجميع الأنصار في المدن الأخرى من البلاد، إلى أن ثاروا عام 1979م.

الآن، وبعد أن قضي على انتفاضة الحرم، طرح المعارضون لجهيمان والمؤيدون للدولة وآل سعود، بعض الاشكالات على تحركه فقالوا (هذه المعلومات والتي سبقتها، استقيت من أفراد مسئولين في جماعة الدعوة المحتسبة):

لما كان جهيمان مسئولاً عن قسم الرحلات التي ينظمها، كانت تعترض المشاركين في الرحلات بعض المسائل الفقهية، ولما كان المشايخ غائبين، فإن جهيمان ـ وحسب اجتهاده ـ يجيب عليها، على اعتبار أنه إذا اجتهد فأخطأ له أجر، وإذا اصاب فله أجران.. وهذا القول الذي نذكره هنا لمصادر معارضة لجهيمان من الجماعة نفسها ولا نعلم بصحتها من خطئها.. والاشكال الذي طرح هو أن جهيمان اعتبر نفسه في مقام المشايخ، واعترض عليه بانه مهما كان فهمه وعلمه لابد أن يرجع في القضايا الفقهية إلى المشايخ أنفسهم..

طبعاً هذه مسألة طارئة ـ كما يقول المعارضون ـ لكن الأهم من الاجتهاد الفقهي ـ حسب قولهم ـ هو الاجتهاد السياسي وتكفيره للدولة ولآل سعود.. والمشايخ كان من السهل عليهم إقناعه في القضايا الفقهية التي يقولون أنه خطيء باجتهاده فيها، لكنهم لا يقدرون على إقناعه بعدم معارضته للدولة، سيما وأنه اعتبر آل سعود صريحين بكفرهم وفسوقهم..

قال له العلماء أنهم لم يأتوا بكفر بواح ـ حسب الحديث الشريف ـ فيلزم طاعتهم، فأجابهم بأن كفرهم واضح كوضوح الشمس، وأنه لن ينتظر منهم أن يعلقوا يافطة ويعلنوا خروجهم عن الدين، لأنهم لن يفعلوا ذلك!

دعوهخ أن يأتي ويناقش، وأن لا يتخفى في البوادي، وأن يقنع الدولة بحجته، فأجابهم بأنه يعرف من تاريخ آل سعود أنهم يحبون الناصحين بل يقتلونهم بشبة تسكت الأرنب (الرعية!!)!، وأنه إن أتى فإن المطلوب منه أن يؤيد آل سعود أو يزجوا به في السجن، وقد كرر جوابه هذا في إحدى كراساته (الامارة والبيعة والطاعة) فقال ما نصه: (هذه القواعد الثلاث هي التي يتخذونها مع أهل العلم والدين، وهي أن توافقهم، أو تسكت عنهم، أو يقتلونك.. وهذه هي الأسباب التي حملتني على أن أواجههم، وأبين لهم الحق، لأني عرفت ما عندهم في من خالفهم ـ ويلمح جهيمان هنا للأخوان الأوائل الذين قتلهم عبد العزيز ـ، وأنهم لا يحبون الناصحين، بل يقتلونهم، وأنا لا أريد قربهم، ولا أريد السكوت عنهم وعن الحق، فلم يبق إلا الثالثة)..

قالوا له إن العمل بالخفاء والسرية هو (نفاق)، لانه إظهار شيء للناس، وإخفاء شيء آخر، فأجابهم بأن هذا ليس نفاقاً وليس جبنا، وأن الرسول هو أول من عمل بالسر ثلاث سنوات في مكة، حتى إذا قويت شوكته أعلن حربه على عقيدة الكفار..

وأوضح مضمون هذا القول في رسالة (الامارة والبيعة والطاعة) فقال ما نصه: (فافهم ولا تنخدع بحملة الفقه، وبمن يأخذ بجانب واحد من الكتاب والسنة، ويقول هذا من الجبن والخوف والذل، مع أنك تعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم اختفى في الغار لما عزموا على قتله)!!

وكرر ذات المسألة في ختام إحدى رسائله (الميزان في حياة الانسان) حيث جاء بقصيدة شعبية صاغها، يوضح فيها أن الرسول بقي فترة في الغار، يقول في القصيدة:

سألوه عن تحريم الوظائف الحكومية، فقال إن الوظائف الحكومية ا لتي تقوي من قبضة الحاكم الظالم كالعمل في المباحث وغيرها حرام: (إن هذا القول هو الذي كنت أقول به من قبل ويعكسه بعض الناس فيقول هو يحرم الوظائف، فعفا الله عنا وعنهم، ونرجو أن تكون عاقبتنا وإياهم كيوسف وإخوته)..

ويلاحظ هنا أن رسائل جهيمان تحوي الكثير من الردود على اتهامات السلطة وأذنابها ومؤيديها.. مع العلم أن جهيمان طلب من جماعته "اعتزال" العمل الحكومي وأورد في رسالته (دعوة الاخوان.. كيف بدأت وإلى أين تسير) مجموعة من الأحاديث النبوية التي تطالب باعتزال العمل عند الحاكم غير الشرعي والظالم، منها:

1) عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"ليأتين عليكم أمراء يقربون شرار الناس ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فمن أدرك ذلك منهم فلا يكون عريفاً ولا شرطياً ولا جابياً ولا خازناً".

رواه ابن ماجه وسنده صحيح.

2) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً، فكان من خطبته أن قال:

"ألا إني أوشك أن أدعى فأجيب، فيليكم عمال بعدي يقولون ما يعلمون، ويعملون بما يعرفون، وطاعة أولئك طاعة، فتلبثون كذلك دهراً، ثم يليكم عمال من بعدهم يقولون ما لا يعلمون، ويعملون بما لا يعرفون، فمن ناصحهم ووازرهم وشد على أعضادهم، فأولئك قد هلكوا وأهلكوا، خالطوهم بأجسادكم، وزايلوهم بأعمالكم، واشهدوا على المحسن بأنه محسن، وعلى المسيء بأنه مسيء".

(رواه الطبراني والبيهقي وهو حديث صحيح).

على اية حال، كان من الاشكالات التي واجهها جهيمان، أنه متعصب لرأيه، ولا يقبل رأي غيره حتى ولو كان ذلك واضحاً، ويستدل المعارضون بأن الشيخ بن باز حين ناقشهم أبدوا اقتناعهم ثم نكصوا على اعقابهم، لكن الحقيقة أنهم لم يقتنعوا ولم ينكصوا، ولذا ترى جهيمان يقول حول مسألة تعصبه: (نشهد الله وملائكته وعباده المؤمنين على أن نقبل الحق ممن جاء به ولو خالف آرائنا وأهواءنا وما نشأنا عليه)

"رسالة الميزان لحياة الانسان"..

ومن الاشكالات أنه بايع الملك خالد بالحكم، فلماذا يخرج على بيعته ويموت ميتة جاهلية؟، ويفرق وحدة المسلمين؟!!

أجاب جهيمان بأنه لم يبايع، وأنه حتى لو بايع، فانها بيعة قهر وجبر، ومع هذا يحق له بأن يعترض الامام الشرعي، فكيف به أن يكون ملكاً منحرفاً؟!..

ومن ضمن من أوضحه في إحدى رسائله: (إن هذا فيما إذا بايع المسلمون كلهم إماماً، فمن فارق جماعتهم ولم يبايع مات ميتة الجاهلية، أما إذا لم يكن لهم إمام، فلا ينطبق هذا الوعيد، ويدلل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم، أرشد حذيفة عند وجود الجماعة والامام بأن يعتزل، فهل ترى أن النبي يرشد حذيفة لأن يموت ميتة جاهلية؟)..

ورغم هذا الكم الهائل من الاشكالات والاجابات المضادة، استطاع جهيمان أن يشكل خلايا، ويؤسس بيوتا للأخوان في مناطق عديدة كالاحساء والرياض والمدينة وجدة وتبوك وغيرها.. وانضم إليه عشرات من طلاب وأساتذة الجامعة الاسلامية، وكان من بين الاساتذة (سويد بن عقاب العتيبي ويحمل شهادة الماجستير، وكان حتى نهاية عام "1403هـ" معتقلاً - على حد علمنا -، وسليمان بن اشتيوي، اعتقل ثم اطلق سراحه بعد أكثر من سنة، والشيخ المزروعي الذي اعتقل ثم أخرج من الجامعة، وكذلك انضم إليه عدد من المعيدين وعدد كبير من أبناء مدينته "ساجر" في نجد وقبيلته عتيبة، وهؤلاء يكرهون السلطة التي فتكت بأجدادهم في واقعة السبلة)..

وقد لاحظ العالم أن أفراداً من مختلف الجنسيات شاركوا في عملية الحرم وأعدموا بعدئذ أو قتلوا داخل الحرم، وهذا يدل على أن جهيمان تجاوز الطرح الاقليمي والقومي.

ومن الواضح أن الفكر التغييري الذي تبناه جهيمان ـ رغم سلفيته ـ يرجع على ارتباطه العاطفي والنسبي إلى (الاخوان) الأوائل الذين بنوا الدولة السعودية وكان نصيبهم الاعدام.. ونعود فنؤكد هنا أن الاختلاف بين جهيمان وجماعة الدعوة المحتسبة التي خرج من رحمها معارضاً لآل سعود، هو اختلاف في شيء واحد وهو معارضة الدولة السعودية فقط!، أما بقية المسائل فهو يتوافق معهم تقريباً، عداً مسألة المهدي.. ومسألة المهدي يعترف بها السلفيون جميعاً، إلا أن التخصيص الذي طرحه جهيمان هو مثار الاختلاف، وقد اعتبروا ذلك بدعة وخرافة.

هذا ما أردنا إيضاحه حول هوية الجماعة التي اعتصمت في الحرم

ولنا هنا بعض الملاحظات على هذا البيان: الأولى: الحكم السعودي نعت ولازال ينعت كل المعارضين لحكمه الفاسد والمخالف للشرع بـ (الخوارج)، وهذا هو دأب الحكم السعودي منذ تأسيسه وحتى الآن.. والسبب في استخدام الحكم السعودي لهذا النعت، هو إيهام الرأي العام المحلي والخارجي بأنه قائم على أساس من الدين والعقيدة، وعليه فإن من يخرج على الحكم السعودي الفاسق فانه يخرج من دين الله.. ولقد كان الشهيد جهيمان عالماً بهذه الحقيقة، ويشهد على ذلك كتاباته، وكأنه يتوقع من الأسرة الحاكمة أن تطلق عليه هذا النعت (الخوارج) قبل أن يقوم بانتفاضته.. وهنا لا يسعنا إلا أن ننقل مقتطفاً طويلاً من كراس منشور للمرحوم جهيمان بإسم (الامارة والبيعة والطاعة، وكشف تلبيس الحكام عن طلبة العلم والعوام) هذا الرد من قبل جهيمان، وقبل أن تعمم الأسرة الحاكمة صفة "الخوارج" التي أطلقتها ضده بعد الانتفاضة، على العالم الاسلامي، يوضح بصورة مطلقة كيف أن آل سعود ومشايخهم يستخدمون أقذع العبارات ضد معارضيهم ويجردونهم من إسلامهم، رغم أن هؤلاء ما ثاروا وانتفضوا إلا من أجل الاسلام.. والغريب أن الأسرة الحاكمة ومن خلال بيان وزارة الداخلية، لم توضح هوية المعتصمين في الحرم، ولا جنسياتهم، ولا مطالبهم، ولا عددهم، ولا نوعية سلاحهم، ويتوضح هنا حرص الحكومة على ذكر "جميع" العلماء، بيد أن الحقيقة التي ظهرت هي أن العلماء لم يصدروا حتى ذلك التاريخ "صباح 1979/11/21م" أي فتوى، والأكثر من هذا أن محمد عبده يماني وزير الاعلام السعودي أشار في لقاء له مع مجلة الحوادث "1980/1/18" إلى أن السلطة تصورت في البداية أن القائمين بالعملية هم بعض المشايخ بعد أربع وعشرين ساعة من وقوع الحادث، وبعد تسرب الأنباء حول الاعتصام بداخل الحرم، نطق الحكم السعودي كفراً بعد أن صمت دهراً في السابق ، كان السعوديون يواجهون القوى الوطنية المعارضة لحكمهم بأنها شيوعية تريد القضاء على الاسلام الذي جاء آل سعود لاحيائه والدفاع عنه (...).. ولكن ما عساهم أن يقولوا اليوم والحركة الاسلامية تقف بشموخ في ساحة المعركة، وفي مواجهة حكمهم الفاسد من أجل تطبيق حكم الاسلام العادل؟! واعتبرهم فهد، الذي كان يومها ولياً للعهد، ويحضر اجتماعات القمة العربية في تونس، بأنهم (أعداء الدين والوطن) وأنهم (طغمة فاسدة)[5].. ثم عاد ووصفهم بأنهم (سذج)، وأوحى في تصريح له بأن الاحساس الديني المتعمق في البلاد يسبب السذاجة، وعليه فإن كل المواطنين أو معظمهم ـ برأي فهد ـ هم من السذج، يقول مضيفاً (وبطبيعة الحال فإن السذج كثيرون، والاحساس والشعور الديني أعمق عندنا هنا منها في أي بلد آخر).. وبلغ استخفاف الاعلام السعودي بالرأي العام حداً فظيعاً، حين قارن حادث الحرم مع طائفة جيم جونز التي قامت بعملية انتحار جماعي في (غوايانا) في عام 1978م.. أولا: لم يذكر أي مسئول سعودي اسم الجماعة التي قامت بالاعتصام.. لم يقل أحد منهم أنهم من جماعة "الدعوة المحتسبة" التي ترجع في جذورها إلى حركة الاخوان التي أسست الحكم السعودي، أو أنها امتداد لها.. ما هو السبب يا ترى؟! والعالم الاسلامي ـ وإلى هذا الوقت ـ لا يعلم هوية القائمين بالعملية، سوى ما أعلنته الحكومة أنهم مجموعة خوارج احتلوا الحرم.. فهل هذا التعريف كاف لتوضيح الحقائق؟، وكيف يخرج الرأي العام بنتيجة صحيحة طالما أن التعريف اقتصر على السباب والاتهامات؟! جاء الملك عبد العزيز إلى الحكم بانقلاب عسكري على ابن عجلان حاكم الرياض في يناير عام 1902م، وسيطر على المدينة بالقوة.. والمبرر الذي رفعه الملك حينها هو المطالبة بعودة ملك الآباء والأجداد، فلم يكن هدفه دينياً، بل هدفه الكرسي والحكم.. في هذه الأثناء صعد نجم جماعة دينية أطلقت على نفسها (الاخوان)، تدعو للعودة إلى الدين، وما كان عليه السلف الصالح، وكانت هذه الجماعة قد بدأت في عام 1913م، بالتوسع من أجل إعادة المجتمع نحو الاسلام والاخوة الاسلامية، بدل الاقتتال والنهب والسلب، فوجدها الملك عبد العزيز ـ بعد عودته من احتلال الاحساء ـ منافساً لسلطانه، فحاول مراراً أن يقضي عليها بالقوة ولكنه عجز عن ذلك، وتدل المصادر التاريخية إلى أن عبد العزيز اصطدم مع فيصل الدويش زعيم (الاخوان) قبل أن يتحالف معه ثم ينتفض ضده. null من جهته، تخلى عبد العزيز عن لقب (الأمير) أو (الشيوخ)، وسمى نفسه (إماماً) لتأكيد مساره الجديد، فكان "الاخوان"، حتى بعد أن أعلن

نفسه (سلطاناً) ثم (ملكاً)، لا يسمونه إلا بـ (الامام)، وعليه.. فقد كانوا يأتونه بالخمس الذي يقره الشرع بالنسبة للإمام!! وفي ذات الوقت دعا العلماء لتعليمهم بعض المسائل الدينية القشرية التي تزيد في تأكيد ولاء البدو لعبد العزيز، والقتال بإسم الجهاد، وشحنهم بمفاهيمهم غريبة تقول بأن غيرهم كفار تحل دماؤهم، وأنهم وحدهم المسلمون.. وهكذا يتوضح دور "الاخوان" في إقامة النظام السعودي، رغم أن ما قاله مؤيدو آل سعود لا يفي بشيء من حقهم.. الحجاز كان آخر منطقة سمح الاستعمار الانجليزي لعبد العزيز باحتلالها، فاحتلت للقضاء على الشريف حسين وعلى مطالبه بأن تكون فلسطين للعرب وليس لليهود كما وافق عبد العزيز.. لقد عجز الانجليز في إقناع حليفهم الشريف حسين بالموافقة على أن تكون فلسطين لليهود، وهددوه بكلب الحراسة (عبد العزيز) وبقوات "الاخوان"، لكنه رفض.. فأعطى الانجليز بعدئذ الضوء الأخضر لإبن سعود حتى يحتل الحجاز، بعد أن عجز لورانس في إقناع الشريف وإرغامه! بعد اسبوعين - تقريباً - من سقوط جدة، أعلن عبد العزيز نفسه (ملكاً) وتخلى عن لقب (الامامة)، فثارت ثائرة "الاخوان" لأن من دواعي قتالهم الشريف أنه أعلن نفسه (ملكاً)، وكان ابن سعود يشحن "الاخوان" لقتال "ملك العرب" الحسين بن علي!.. فكيف يقبل هو الآن بلقب (الملك)؟، وكيف يشرك نفسه مع الله باتخاذ اسمائه، فيقال له (صاحب الجلالة، والمعظم، وصاحب السمو)!؟ في هذا الوقت دخل عليه جماعة "الاخوان" وعلى رأسهم سلطان بن بجاد قائد الجيش السعودي الذي احتل الطائف ومكة ثم جدة وهم شاهرين سيوفهم، مستنكرين فعلة الملك، ومهددين بالقتل إن لم يتخل عن اللقب، أن ابن سعود أصبح ملكاً ويتصرف كالملوك، وأنه يأخذ ضرائب بغير حق، وأنه يعطل الجهاد، وأنه يوالي النصارى ويصف المندوب السياسي البريطاني (ديكسون) في كتابه (الكويت وجاراتها) ما جرى بعدئذ بين قادة "الاخوان" وابن سعود كالتالي: ويضيف ديكسون (ومما لا شك فيه أن الرعب دب في قلبه - أي قلب ابن سعود - بحيث أنه لم يفكر قط في عرض القضية على أية هيئة من علماء الدين، وبدل أن يقرر القطيعة مع البريطانيين، قرر ضرب "الاخوان" بسرعة مرة واحدة وإلى الأبد)..

الفصل الثاني ..... ويشمل:

- أهداف المعتصمين في الحرم
- ألأهداف السياسية
- وسائل الإعلام العالمية والأهداف السياسية
- المهدي ومبايعته
- حول التلفزيون والكره ومعاداة التقدم

أهداف المعتصمين في الحرم.........

والآن، وبعد أن أوضحان حقيقة القائمين بالاعتصام، ننتقل إلى فقرة أخرى لنلقي مزيداً من الضوء على الأهداف الحقيقية وراء العملية.. إذ أن من الطبيعي أن عملاً ضخماً كالذي تم في الحرم، لابد وأن تكون له أهداف بحجمه..

غير أن المسئولين السعوديين يضحكون على أنفسهم قبل أن يضحكوا على الرأي العام حين ينفون أنه ليست هناك أية أهداف سياسية، أو أنه ليست هناك أهداف مطلقاً، أو أ ن الهدف فقط هو مبايعة المهدي.

لم يعلن أقطاب الأسرة الحاكمة في تصريحاتهم وبياناتهم الرسمية عن أهداف الجماعة إلا بعد (48) ساعة على الأقل من وقوع الحادث، اللهم إلا إذا كان ما أشار إليه بيان الداخلية الأول حول مبايعة المهدي قصد منه كهدف.

بعد أربعة أيام قال وزير القمع السعودي: (إن الحادث أبعد ما يكون عن أي مضمون سياسي)[1].. وصرح (فهد) بأنه (ليس للجماعة أهداف ومطالب عدا المهدي المنتظر، وأن المسألة لا تعدو كونها أحلاما وكلام فاضي!!)[2]، وسبق وزير الخارجية الجميع حين صرح بأنه (ليس لهم أية انتماءات سياسية، ولذلك لا يمكن القول أنهم موجهون من أي دولة، أو أن لهم أية ارتباطات سياسية مع دولة أخرى، كما أنه لا يمكن تصنيفهم سوى أنهم مجموعة من المهووسين.. وأن القضية لايمكن أن تحتسب بأنها سياسية)[3].. وقال عنهم أمير الرياض سلمان، بأنهم (أشخاص اتحدوا ضمن هدف شرير ليس إلا)[4]، وعاد وزير الداخلية مرة أخرى فقال: (إنهم لم يرفعوا أي شعار سياسي، ولم يطالبوا بقطع البترول عن الولايات المتحدة)[5]، في الوقت الذي أكدت فيه كل صحافة العالم، أن الحادث لا يمكن فصله عن السياسة، كما لايمكن تجريد العملية من الأ هداف السياسية..

غير أن نايف وإخوته ومنهم فهد، الملك الحالي أبوا إلا أن يؤكدوا على أن الثوار (قاتلوا من أجل تحقيق البيعة للمهدي وحسب)[6].. كما قال فهد..

وصرح وزير الداخلية لصحيفة (الجزيرة) بعد أكثر من أسبوعين من العملية، بأنه (ليس هناك أية مطالب أو أهداف للفئة الباغية، عدا ترويع المؤمنين الأمنين، وسفك دماء الأبرياء، وتتويج أحدهم مهدياً خروجاً على الدين الاسلامي[7]..

وبعد أكثر من خمسة أسابيع، عقد نايف مؤتمراً صحفياً بتاريخ (1980/1/13)، أجاب فيه على سؤال لأحد المراسلين حول الأهداف، هل كانت احتجاجاً على علاقات آل سعود بأميركا؟، أو على الاذاعة والتلفاز؟، قال نايف (أبداً، الواقع عندما كان أفراد الطغمة الخارجة في الحرم، لم يكن هناك شيء غير ما أذيع وما سجل عنهم، وهو اعتقادهم بالمهدي! وأنهم يجب أن يقاتلوا في الحرم.. أما ما قيل عن الراديو والتلفزيون فقد وجد في بعض نشراتهم السابقة ما يقول أنهم يحرمون هذه الأشياء.. أما ما يتعلق بالبترول فلم نسمع شيئاً عنه)..

وقبل هذا التصريح بثلاثة أيام أدلى نايف في مقابلة له مع جريدة (السفير) بقوله (لقد انتظرنا حتى تمكن بعض المصلين من الخروج من الحرم وحصنا على المعلومات الأولية، وعلى مطالب المسلحين الذين ما أرادوا شيئاً من ال دولة، بل هدفوا إلى مبايعة من سموه المهدي المنتظر)[8]..

لقد بات مؤكداً لدى جميع صحف العالم ووكالات الأنباء أن هناك مطالب سياسية للجماعة، فقد أكد مراسل وكالة الأنباء الفرنسية في جدة (بأنه أصبح من المؤكد أن هناك أهدافا سياسية للمتمردين)[9].. وشككت جريدة النهار بأقوال المسئولين السعوديين فقالت (باتت النظرية الرسمية القائلة أن عملية مكة بعيدة عن أي دوافع سياسية، موضع تشكيك لدى الأوساط المطلعة في جدة)، وأضافت نقلا عن صحيفة الواشنطن بوست الأميركية (ن الهجوم المسلح على المسجد الحرام يعتبر تحديا مباشرا للحكومة السعودية ولحقها في الحكم، ومن الصعب ارتكاب خطأ أكبر من اعتبار الحادث حلقة معزولة من الهستيريا الظلامية تنتهي بعودة الأمن)[10].. ثم كررت الصحيفة مضمون هذا القول بعد مدة فقالت (إن أهداف حركة الحرم الشريف، صورت ظهور للمهدي المنتظر، ولكن الأهداف السياسية لم تغب عنها)[11]..

والطريف أن مصدراً سعوديا مسئولاً صرح لمجلة (نيوزويك) الأميركية (أن هدف الجماعة التي احتلت المسجد الحرام، كان بث القلاقل وعدم الاستقرار في الجزيرة العربية)[12]، وربما تصور جهابذة الحكم السعودي أن الهدف هذا لا يعتبر سياسياً أيضا!

والأكثر طرافة ما ذكرته إحدى الصحف الكويتية حول مطالب الجماعة، التي قالت أنهم (طالبوا بمنع التلفزيون وكرة القدم على أساس أن ذلك رجس من عمل الشيطان، كما طالبوا بخلع الملك، وعدم إحلال بيعته على أساس أن أهل النظام شياطين، وليس على اساس مطالب سياسية)[13]، فتبين - عزيزي القارئ - كيف أصبح هدف خلع الملك غير سياسي بنظر الصحافة المتعاطفة مع الحكم السعودي، فهل هذه الصحافة يمكن الوثوق بها؟، وأقصد الصحافة العربية التي تتعاطف في معظمها مع آل سعود.

مجلة الحوادث، التي كانت أثناء الأحداث وبقلم رئيس تحريرها السابق سليم اللوزي، تنقل بحرص وبخبث التوجهات الحكومية السعودية، هذه المجلة قالت عن الأهداف من خلال استعراض للمبادئ المزعومة للجماعة كالتالي (إن أسماءهم معروفة لدى دوائر الأمن، خاصة بعدما وزعوا خلال الحج منشورات تعبر عن مبادئهم.. وهي المبادئ التي تقول بالعودة إلى الماضي، وبوجوب التخلص من الحضارة الجديدة، والعمران والرفاهية، بحيث نسي المسلم المؤمن - حب زعمهم - ما أوصى به الدين.

ولقد عالجت السلطة يومها اعتراضاتهم بالفهم والمسامحة، على اعتبار أن هناك دائما فئات متعصبة، كان تعترض على سياسة الأخذ بأسباب التقدم والأشياء الحديثة، ومنه الاعتراض على إدخال التلفزيون إلى الحياة السعودية، إضافة إلى التصدي لبرنامج المداس المختلطة، ومحاولة وقف البث الاذاعي، لان هناك أصواتاً نسائية تخرج من الراديو.

ولكن اعتراضاتهم لم تكن بواسطة العنف، وإنما اتخذت اشكالا لا مسالمة، كالشكوى للأمير سلمان، أو تدبيج خطاب احتجاج للملك أو الأمير فهد والأمير نايف)..

وأضافت المجلة ـ الحوادث ـ أن أفراد الجماعة (سلفيون.. وهم فئة انبثقت خارج المملكة وضمت عدداً قليلاً من الشبان والطلاب المتزمتين، وهي تدعوة إلى الأخذ بأصول السلف، كاستخدام الحصان والجمل بدلا من السيارة والطائرة.. والعيش في الخيام بدلاً من القصور، وأكل التمر بدلا من اللحوم، والطريف أنهم أدخلوا التمور معهم إلى المسجد باعتبارها غذاءاً كاملا.. ولقد وضعوها مع الأسلحة في السيارات التي تحمل اسم شركة سعودية متعهدة لتأمين الأكل، ثم تسللوا بها إلى العنابر المخصصة لتخزين المؤونة في الطبقة السفلى)[14]..

إن ما قالته (الحوادث) يشكل في الواقع إدانة للحكم السعودي قبل غيره، فالاعتراضات قدمت للمسئولين قبل الانتفاضة، كان التلفزيون والراديو والدراسة المختلطة وغيرها جزء من أهدافها، لكنها لم تكن كلها.. والاعتراض على التلفزيون والراديو ليس بسبب عداء المعتصمين للحضارة كما زعم الاعلام السعودي وغيره، وإنما بسبب ما يحدثانه من فساد داخل أوساط المجتمع، وما يبثانه من مفاهيم تناقض المسلمات الاسلامية، فالاعتراض كان على الأفلام الفاسدة والأغاني الماجنة، والأفكار الغربية وغيرها.. وأي مسلم حقيقي يعترض على هذا الهدف.

أما أنهم يستخدمون الحصان بدل السيارة، ويأكلون التمر بدل اللحم، ويفضلون الخيام على المنازل، فهذا الكلام غير معقول وغير صحيح، وهو تهريج واضح.. ولا أدلك على ذلك أن الحوادث ناقضت نفسها حين قالت بأن المتمردين استخدموا سيارات شحنوا فيها التمر.. كما نسيت الحوادث ـ وقبلها ـ جريدة أحمد الجار الله (السياسة الكويتية)[15]. أن سكن المنازل لا تخالف ما سار عليه السلف، بل وحسب معلوماتنا المؤكدة، أن جهيمان تبرع بمنزل له يسكنه من أجل الدعوة.. وأما أكل اللحم فهو اختراع صحفي، فهل كان السلف الصالح لا يأكل لحماً.. أم ماذا؟، لقد اختير التمر ـ كما اعترفت الحوادث والمجلات والجرائد الأخرى ـ لأنه سهل التخزين، إضافة إلى قيمته الغذائية العالية..

وما نخلص إليه من خلال استعرضناه من أقوال المسئولين حول الأهداف، أ، السلطات السعودية استقرت على ثلاثة أمور:

1/ ليس للجماعة أية أهداف سياسية.

2/ أن الهدف الوحيد هو مبايعة المهدي.

3/ أن مطالبهم تتلخص في مناهضة التلفزيون والكرة والراديو.

وبمناقشة هذه الأمور الثلاثة يتضح لنا كذب وافتراء الأمراء السعوديين الحاكمين..

[1] ـ جريدة الرياض 1979/11/23م.

[2] ـ السفير 1979/12/10م.

[3] ـ صحيفة الجزيرة السعودية 1979/11/22م.

[4] ـ الرياض 1979/12/9م.

[5] ـ السفير 1979/11/26م.

[6] ـ الوطن الكويتية 1400/2/23هـ.

[7] ـ الجزيرة 1979/12/6م.

[8] ـ السفير 1980/1/10م.

[9] ـ الرأي العام 1979/11/28م.

[10] - النهار 1979/11/30م.

[11] - النهار 1979/12/23م.

[12] - مجلة نيوزويك 1979/12/17م.

[13] - صحيفة الأنباء الكويتية 1979/12/11م.

[14] - الحوادث 1979/12/7م.

[15] - ذكرت جريدة السياسة 1979/11/27م، أن (للمجموعة نظريات غريبة من ضمنها ان التفزيون حرام، وكذلك كل ما يرد فيه من برامج، ومثله في الحرمة الاذاعة والأغاني والسجائر، وكل أنواع الرفاهية البشرية.. وأن هم حلقات في بعض المساجد يطرحون فيها أشياء تدل على معارضة كاملة لكل أصول الدين السائدة)..

الأهداف السياسية.........
كان الحرص الحكومي في نفي الأهداف السياسية للجماعة، واعتبارها جماعة ذات أهداف دينية مشوهة، واضحاً.. ومرد هذا الحرص هو أن النظام السعودي لا يعترف بأي معارضة سياسية، وهو يحاول دائما أن يرجع الخلاف إلى أرضية عقائدية.. فالمعارضة الوطنية التي كانت واضحة خلال الستينات ليست معارضة سياسية ـ بنظره ـ وإنما هي جماعات تنشر وباء الشيوعية والاشتراكية للقضاء على الاسلام الذي يدافع هو عنه..

فالذي قتل فيصل وهو الأمير (فيصل بن مساعد بن عبد العزيز) لم يكن هدفه سياسيا حينما مارس عملية الاغتيال، وإنما كان يهدف إلى القضاء على الاسلام، كما ذكرت السلطة في بيانها القاضي باعدامه..

والذين أعدموا في ساحات الرياض (السبعة عشر) في الستينات، لم يعدموا بحسب رأي آل سعود لأنهم استخدموا العنف ضد الحكومة، ولا لأنهم ينهجون خطاً سياسياً معاديا للنهج الأميركي الحكومي، وإنما وكما قال آل سعود ـ لأنهم أرادوا القضاء على دين محمد!

وهذا الأسلوب في التعامل مع المعارضة السياسية استخدمه آل سعود مع الأنظمة العربية المعارضة أيضاً، فقبل صلحهم مع عبد الناصر، كانوا يعتبرون الحرب السياسية معه ـ وحتى العسكرية ـ حربا بين الاسلام والكفر.. وتكررت المسألة مع ليبيا في أواخر السبعينات، وشنت السلطات السعودية حرباً إعلامياً أرجعت فيها الخلاف بين القذافي وفهد، إلى أنه خلاف بين الكفر والاسلام، بل وأوعزت السلطة إلى مشايخها لتصدير فتاوى بهذا المضمون..

ولكن.. بأي وسيلة سيخرج النظام السعودي من مأزقه، إذا كانت المعارضة السياسية إسلامية.. وتجر النظام إلى الصراع على الأرضية الدينية؟!

كل القيادات التي شاركت في عملية الحرم ـ والعديد من أفرادها هم من خريجي الجامعة الاسلامية ـ ويلقون تعاطفاً نسبياً من بعض رجال الدين، وأهدافهم لا يختلف عليها اثنان من المشايخ أنفسهم، والأوساط الشعبية المطلعة تشهد لهم باستقامتهم وإيمانهم..

فأي موقع حرج هذا الذي أوقع فيه النظام نفسه؟ هل يقول للعالم ـ وكالعادة ـ أنهم شيوعيون حمر، يريدون القضاء على الاسلام؟.. هل يقول أن هؤلاء جاؤوا لاقتلاع آل سعود من جذورهم وإعادة الحكم إلى موضعه الذي يعتقدون أنه صحيحاً؟!

هنا أخرج النظام من دفاتره القديمة عبارات يستخدمها للطوارىء، كلما أملت به وعدة سياسية معارضة..
فهو لا يريد أن يعترف بأن هناك من يعارض لدرجة حمل السلاح، ولا يريد أن يقول بأن الدافع ديني ومن أجل الدين، لأنه يعتبر نفسه المدافع الأول عنه.. ولهذا ظهرت عبارات (الخوارج) (والمتطرفين) (والمهووسين)

(وأعداء التقدم) ليطلقهاعليهم، وهي ذات العبارات التي أطلقها كبير آل سعود ومؤسس دولتهم الملك عبد العزيز، وها هم أبناؤه يسيرون على نهجه.

إن الشيء الذي لا يختلف عليه اثنان ممن تابع نشأة الجماعة وأفكارها، هو أنها معارضة للحكم السعودي ونهجه الفاسد في الصميم.. فهي جماعة متدينة تريد تطبيق الاسلام، وقطع دابر التغريب، والارتباط بالغرب، والقضاء على كل الأفكار والشوائب التي يبثها النظام في القاعدة الشعبية عبر مدارسه وجامعاته وإعلامه.

وأهم أمر أعلن هو عدم اعترافها بشرعية الحكم السعودي، وهذا ما نلمسه من خلال الكراسات التي كتبها جهيمان العتيبي، القائد الفعلي للجماعة، وهذه الكراسات تنضح بمعاداتها للحكم السعودي، بل إن جهيمان أوضح في بعضها أن الكثير من المشايخ المرتبطين بأذيال آل سعود، عادوهم لأنهم ضدهم.. والأكبر من هذا أن جهيمان عرض رسائله على الشيخ (عبد العزيز بن باز) وهو أكبر رجل دين في الدولة وله كلمته المسموعة، فما اعترض على نقده وأفكاره، سوى تخصيص هذا النقد في آل سعود.. فهل يحق لآل سعود ـ بعدها ـ الزعم بأن الجماعة لم تقم بحركتها من منطلق سياسي؟، وأن ليس لها أهدافاً سياسية؟!

إن هذا التصرف السعودي لا ينم إلى عن جهالة وتخبط، خاصة إذا ما عرفنا أن الجماعة وزعت كراساتها على أكبر عدد ممكن من الحجاج أثناء الحج، بل إن مثل هذه الكراسات وزعت في دول الخليج منذ زمن، كالكويت وغيرها.. هذا إضافة إلى أن نايف، وزير القمع السعودي وأجهزته، اعترفوا بأن للجماعة منشورات، وأن أجهزته حصلت على نسخ منها، فلماذا لم يوضح هو أو أي من إخوته ماذا بها؟، مع العلم أن العديد من الصحف الخليجية نشرت فقرات مطولة منها تنم على معارضة واضحة لآل سعود.. بل إن مجلة الحوادث نشرت صورة لبعض هذه الرسائل.

ماذا يقول جهيمان في رسائله؟

إنه يقول: لا للارتباط بالغرب وموالاة النصارى.. لا للحكم السعودي لأنه لم يقم على هدي من الشرع ولا يسير حسب أوامر الشرع، وبالتالي فلا طاعة له.

في كراس (دعوة الاخوان.. كيف بدأت وإلى أين تسير؟) قال فيما قال (وبعد هذا فارقنا أهل الوظائف والمتعلقين بأذيال الحكومة، وبقينا مع الحق ولكنه غريب، إذا فنحن معه غرباء وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء".. فانك ترى أن الاخوان المتجردين للسنة حينما وصلوا إلى هذه الحالة، لم يبق لهم مناصر، لا من الحكومة، ولا من المشايخ، ولا من الجماعات الأخرى.. فإن كل صاحب باطل قد ناصبهم العداء، وأنت ترى أنهم ـ أي الاخوان ـ يتبرأون من الحكومة وتلبيسها، ومن المشايخ ومداهنتهم، ومن الجماعات المختلفة وأخطائهم، فلم يبق إلا رب العالمين..)

ويضيف:

(والذين كبرت عليهم دعوتنا وآذتهم كثيراً هم المشايخ، الذين يفتون الناس بغير دليل من الكتاب والسنة، فاذا سئلوا عن الدليل تبين للناس جهلهم وضلالهم.. ولذلك فهم أكثر من تعرض للاخوان وحذر الناس منهم، والصقوا بهم كل تهمة وكل شبهة، حتى لبسوا على عامة المسلمين.. ولا تستغرب، فقد وضعوا أحدهم مراقباً على الاخوان في الرياض حينما فتحوا بيتاً يجتمعون فيه، يعني "مباحث"، وهو الشيخ صالح بن سعد اللحيدان. الموظف بمعهد إمام الدعوة.. وساروا في معاداة الاخوان بين صاحب قصد سيء متكبر عن الانقياد للحق، وبين جاهل يستمع أقوال الناس ولا يتبين)..

وبعد أن يعدد المرحوم جهيمان مواقف المشايخ، يعود فيذكر أن الشيخ بن باز يوافقهم في أفكارهم، ولا يوافقهم في انتقاداتهم لسياسة آل سعود.. يقول: (وأنا أعلم أن العالم المتجرد للسنة قليل من العلماء (وأنا أعلم أن العالم المتجرد للسنة قليل من العلماء المشهورين بين الناس، فإن بعضهم ولو عمل بها، لا يقول بها، ولا يدعو إليها، وكنت أعلم رجلين هما اللذان يهتمان بالسنة وعندهم علم، وهما الشيخ "بديع" حفظه الله، والشيخ "عبد العزيز بن باز" عافاه الله، فليطمئن بعض إخواننا أننا قد عرضنا عليهما رسالة "رفع الالتباس" فلم يذكرا فيها شيئا، ثم قرأ بعض الاخوان "السبع الرسائل" و "نصيحة الاخوان" على الشيخ عبد العزيز بن باز، فما أنكر شيئا إلى التخصيص على هذه الدولة ـ السعودية ـ بالذات ونحو ذلك.. فلم نوافقه عليه لاعتقادنا أنه حق يزول به اللبس عن كثير من الناس)..

وفي رسالة (الامارة والبيعة والطاعة، وكشف تلبيس الحكام على طلبة العلوم والعوام) هجوم صريح على الحكم الملكي السعودي، وكيف أنه حكم مخالف للشرع، ولم يقم باختيار المسلمين ورضاهم.. فجهيمان يصفه بقوله.. (واليوم إن ما يحكم المسلمين الملك الجبري الذي ليس مبنياً على البيعة، وقد خالف شرع الله في عدة أمور منها:

أولا: أن الحكام فيه ليسوا من قريش.

ثانيا: أنهم لا يقيمون الدين، بل يهدمونه ويحاربون أهله.

ثالثا: أنهم لا يأخذون البيعة من رعيتهم بصفقة اليد وثمرة القلب وطوعه واختياره، بل بالجبر والقهر..)

ويضيف:

(فأنت تعلم أن الطاعة لا تجب إلى لمن يقودنا بكتاب الله، أما من يقود المسلمين بالأنظمة المختلفة والقوانين، ولا يأخذ من الدين إلا ما وافق هواه، فهذا لا سمع له ولا طاعة، وقد عرفت بطلان بيعته فيما تقدم، والوعيد على من خرج من الطاعة، هو على من دخل في الطاعة ثم خرج منها، فأما من لم يبايع ولم تجب عليه طاعة أصلا، فهذا لم يخرج من طاعة..

وإذا نظرت اليوم في تطبيق هذا على الواقع، رأيت أننا نعيش اليوم في الملك الجبري، الذي ليس المسلمون فيه يختارون الخليفة، وإنما هو الذي يفرض نفسه عليهم ثم يأتونه يبايعونه بيعة مجبورين عليها، ولا يترتب على عدم رضاهم بهذا الخليفة أن ينعزل.. كلا، بل الأمر جبري)..

فهل هناك أكثر صراحة من هذه الأقوال مخالفة للحكم السعودي من أساسه؟.

أو لا يعتبر رفض الحكم السعودي هدفاً سياسياً مقنعاً لأولئك الذين يفصلون بين الدين والسياسة كآل سعود؟!

وهذه فقرة أخرى اقتطفناها من كراسات المرحوم جهيمان تبين موقفه من آل سعود:

(فهؤلاء الحكام ليسوا أئمة، لأن إمامتهم للمسلمين باطلة، ومنكر يجب إنكاره، لأنهم لا يقيمون الدين، ولم يجتمع عليهم المسلمون، وإنما أصحب ملل سخروا المسلمين لمصالحهم، بل جعلوا الدين وسيلة لتحقيق مصالحهم الدنيوية، فعطلوا الجهاد، ووالوا النصارى، وجلبوا على المسلمين كل شر وفساد، نسأل الله أن يريح المسلمين منهم، ويجعل لهم من لدنه ولياً، ويجعل لهم من لدنه نصيراً)..

وهذه الفقرة الأخيرة وحدها تكفي للرد على مزاعم أمراء الأسرة السعودية الحاكمة.

وسائل إعلام العالمية والأهداف السياسية............
ذكرنا في الصفحات السابقة جانبا من أقوال الصحف والمراسلين الأجانب حول ا÷داف الجماعة التي اعتصمت في الحرم من الناحية السياسية، وها نحن ننقل فقرات أخرى مما ذكرته الوسائل الاعلامية التي هي في معظمها متعاطفة مع الحكم السعودي، والتي نشرت أكثر من مرة على صفحاتها أقوال المسئولين السعوديين، نافية وجود أي أهداف سياسية للجماعة.

- **قالت جريدة الأنباء الكويتية بتاريخ "1979/11/23م":**

(ذكرت أنباء جدة أنه على الرغم من أن المجموعة المارقة لم تعرف أهدافها من خلال العملية الاجرامية، إلا أن بعض المصادر ذكرت أن هؤلاء قدموا المطالب الآتية:

قطع النفط عن الولايات المتحدة، والاعتراف بالمهدي المنتظر، ومقابلة الملك خالد والأمير فهد)..

●قالت جريدة النهار اللبنانية "1979/12/1م" أن من بين مطالب الجماعة: (إلغاء الملكية، وانتخاب إمام المسلمين، والعودة إلى الحجاب الكامل للنساء، وإلغاء تعليم النساء، ومنع أجهزة الفيديو، علما أن هذه الأجهزة والأفلام التابعة لها محظورة رسميا في السعودية، وإن كانت السلطات تبدي تساهلاً في مكافحة انتشارها)[1]..

●ونقلت جريدة النهار عن مجلة نيوزويك قولها: (إن العاهل السعودي كان ينوي زيارة المسجد الحرام يوم الهجوم، لكنه أرجأ هذه الزيارة لاصابته بوعكة.. ونسب كبير محرري المجلة "أرنودو شغريف" روايته، هذه إلى مصادر الاستخبارات الأوروبية الغربية، موضحاً أن المهاجمين كانوا ينوون الاحتفاظ بالملك خالد إلى أن تتحقق مطالبهم التي هي، إقامة جمهورية إسلامية، وخفض الانتاج النفطي، والتخلي عن الروابط القائمة مع الغرب.. وذكر أن المهاجمين كانوا يتوقعون رفض مطالبهم، وفي هذه الحال كان سيحاكمون العاهل السعودي أمام محكمة ثورية)[2]..

●ذكرت صحيفة "الغارديان" البريطانية بتاريخ "1980/2/4م" مؤكدة على الأهداف السياسية: (يجب تفسير حوادث العنف في مكة على أنها تحد لسلطة العائلة المالكة وشرعيتها في ممارسة الحكم).. كما ذكرت النيوزويك الأميركية في "1980/2/21": (إن خطط المتمردين هي الاطاحة بالملك خالد والعائلة المالكة، لتأسيس حكومة إسلامية أكثر تشدداً من الحكومة الحالية)!!، وكانت النيوزويك قد قالت في وقت سابق بأن: (هناك دلائل تشير في مجملها على أن حادث مكة كان بداية لمحاولة انقلابية كادت أن تنجح)، ونقلت عن مصادر أوروبية قولها بأن: (الحادث كان جزءاً من جهود منظمة واسعة الانتشار كانت تهدف إلى إسقاط الحكومة السعودية)[3]..

على أية حال، لقد تبين للرأي العام المحلي والعالمي، أن الاهداف السياسية لم تغب عن عملية الحرم، والتي هي في أساس أهداف دينية، إذ لا يمكن الفصل ـ بوجهة نظرنا وبوجهة نظر من قام بالعملية ـ بين الدين والسياسة..

[1] ـ أجهزة الفيديو لم تكن ممنوعة يوم قامت الانتفاضة وإلى الآن، وأشارت إحصائيات دولية، أن نسبة أجهزة الفيديو لعدد المواطنين في البلاد (السعودية) هي أعلى نسبة في العالم، وكانت جريدة الوطن الكويتية قد أشارت في عام 1984م، إلى أن النسبة تزيد عن (900) جهاز فيديو لكل ألف مواطن.. أما الأفلام المنتشرة فهل لا أخلاقية وجنسية في معظمها، والحكومة لا تشدد على منع دخولها.

[2] ـ جريدة النهار 1979/12/17م.

[3] ـ نيوزويك 1979/12/17م.

المهدي ومبايعته........

لقد حاول الاعلام السعودي أن يجعل من قضية المهدي المنتظر، القضية الرئيسية لانتفاضة الحرم، فقد كان يوجه الاذهان إلى أن مبايعة المهدي كانت الهدف الوحيد للثوار، كما أن فكرة المهدوية أصبحت الميدان الوحيد للتحليل والبحث عن وسائل الاعلام السعودي.. فكانت صحف النظام تطرح الفكرة بشكل رئيسي وباستمرار في صدر صفحاتها الأولى.. كما أن العلماء والخطباء المرتبطين بالسلطة ركزوا في أحاديثهم وخطبهم على هذا الموضوع بالذات، فبعضهم نفى الفكرة من أساسها واعتبرها من الخرافات، والبعض الآخر أبدى رؤى متناقضة حول من يكون المهدي؟!، وهل انه محمد بن عبد الله القحطاني الذي قالت به الجماعة أم لا؟!، وحاول الجميع ان يثبت أن المهدي ليس هو قطعاً..

والسؤال: لماذا اختارت أجهزة إعلام السلطة قضية وأكدت عليها، بينما تغافلت عن الأهداف المهمة والخطيرة الأخرى؟!

لقد أراد النظام ضرب عدة عصافير بحجر واحد:

فأولا: ليجرد عملية الحرم من أي طابع سياسي أو اجتماعي، وليضفي عليها طابعاً دينيا ذا أبعاد ضيقة..

وثانيا: ليفسح المجال لاشغال الرأي العام بقضية ثانوية عن مجمل القضايا المهمة الأخرى التي طرحتها الانتفاضة، والمتمثلة في جذورها ودوافعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

وثالثا: ليستثير المسلمين بطرحها، حيث أن المذاهب الاسلامية تختلف فيما بينها حول تفاصيل فكرة المهدوية، وأن تركيز الاعلام عليها، سيثير الاختلافات، ويعزل المنتفضين عن بقية المسلمين الذين لا يرون رأيهم في الموضوع.

وأيا تكن الآراء مختلفة حول فكرة "المهدوية" بين المسلمين، خصوصاً في تحديد إسم المهدي، فإن من الأمور القاطعة والمحسومة هي أن "الجماعة" تؤمن بفكرة المهدي، وتحدده في شخص محمد بن عبد الله القحطاني.. على اعتبار أنه قرشي، وأن اسمه كاسم النبي (محمد بن عبد الله)، ويبدو أيضا أن من الأمور المؤكدة هو أن، الجماعة أرادت مبايعة (المهدي) في الحرم الملكي وبالتوقيت الذي أرادوه وهو في مطلع العام الجديد من القرن الهجري الجديد.. ومن الأمور التي حسمت وأكدت هي أن الجماعة طلبت فعلاً من المصلين مبايعة المهدي كأمام لهم، وللمسلمين جميعاً.. إذ أن جهيمان وبعض القياديين في الجماعة ـ وهم قلة ـ اقتنعوا بأن القحطاني هو "المهدي" وأن الأوصاف التي ذكرتها الأحاديث المنقولة تنطبق عليه، لكن هؤلاء لم يعلنوا للعالم ولأفراد جماعتهم الذين هم في المراتب العادية أن هناك (مهدي) يجب مبايعته، وإنما دعوهم للاجتماع في الحرم، وهناك أعلن جهيمان أن هذا هو (المهدي) وقدمه الناس للتعرف عليه، موضحا الاوصاف المنطبقة عليه.

والشيء الذي يجب التأكيد عليه هنا، هو أن الجماعة لم تستخدم القوة وإجبار المصلين على المبايعة، لسبب واحد وبسيط هو أن هذا الأسلوب يخالف قناعاتهم، فإذا كان جهيمان ضد الحكم السعودي والملوك السعوديين لأنه يجيرون العامة على مبايعتهم قهراً، فالأولى به أن لا يستخدم هذا الأسلوب.. والسبب الآخر الذي يؤكد ما ذهبنا إليه، هو أن أي حاج من المصلين الذين حضروا الواقعة، لم يؤكد المزاعم السعودية حول إجبار المصلين على المبايعة، بل نفوها جملة وتفصيلاً..

والآن دعنا نستعرض هنا بعض الحقائق حول الموضوع:

أولا: إذا كانت عملية الحرك هدفها الوحيد مبايعة (المهدي) في الحرم ـ كما روجت السلطة السعودية ـ فلماذا لم يخرجوا من الحرم بعد انتهاء المبايعة؟!.. لماذا لم يخرجوا من الحرم مع أهليهم، ولماذا السلاح والرجال والمؤون؟!

ثانيا: لو كانت السلطة السعودية دقيقة في متابعتها (للجماعة) لأمكنها توقع شيء في الحرم أية لحظة.. ذلك إن احدى رسائل جهيمان خصصت لموضوع (المهدي) وخروجه (الفتن وأخبار المهدي والدجال ونزول عيسى عليه السلام وأشراط الساعة).. وهذه الرسالة تحول تصوراً كاملا لما يمكن حدوثه:

1/ فجهيمان وجماعته اندفعوا في مواجهة الحكم السعودي نظراً للانحراف الشديد في المسيرة، فضلا عن أن الحكم السعودي أبى أن يصلح الأوضاع سلما، وقد جربت الجماعة هذا الأسلوب، بالرسائل والبرقيات، والمناظرات مع المشايخ وغير ذلك..

2/ والجماعة من جهة أخرى ترى أن الحكم السعودي غير شرعي، ويجب إزالته، خاصة وأن جهيمان يرى أن الحكم يجب أن يسلم إلى رجل من قريش، وآل سعود ليسوا كذلك، وهذا ما دعاه إلى إيجاد بديل للحكم وهو القرشي (القحطاني) الذي أعلن أنه المهدي.. هذا إضافة إلى أن جهيمان رأى أن آل سعود وملوكهم لا يجرون الأمور حسب الشرع، وأنهم أتوا على أسنة الرماح..

3/ ورسالة جهيمان المذكورة وضعت النقاط على الحروف، فهي تصور الامر على أن (المهدي) سيخرج من مكة، ويكون القتال في الحرم بعد ان يهجم عليهم الجيش الغازي، وبعدها يخسف الله الأرض تحت أقدام الغزاة.. والطريف أنه تساءل في رسالته عن كنه هؤلاء، وأجاب الله أعلم!

أي انه ترك الأمر سراً، رغم أنه بيت النية للاعتصام في الحرم وهناك يعلن اسم (المهدي) وهناك أيضا يخسف الله بالجيش السعودي الذي يبدؤهم بالقتال..

4/ اعتمد جهيمان على أحاديث تبين أنه في مطلع كل قرن يظهر مجدد للدين، وهذا هو سر توقيته للعملية، كما كانت فكرة المهدوية هي التي قادته إلى الاعتصام بالحرم، وليس كما ذكر أنه كان يريد إلقاء القبض على الملك هناك أو ما أشبه..

ثالثا: بغض النظر عن صحة أو خطأ قتل (المهدي) "محمد بن عبد الله القحطاني"، وبغض النظر عن ما أمله جهيمان من العملية خصوصا قضية الخسف بالجيش المعادي، فإن الأمر الذي لا يغيب عن بال المراقب، أن من أعلن أنه (المهدي) ثم تبين أن ليس كذلك كثيرون.. والقحطاني ليس أولهم.. فالاجتهادات لمختلف الفرق الاسلامية ولدت (مهديين) كثر، لن يكون آخر القحطاني، أو محمد بن عبد الله الذي أعلن نفسه مهدياً في السودان في النصف الثاني من القرن الماضي، والذي خلف جماعة كبيرة تحمل اسم الطائفة المهدية، والذين ينتمي إليهم الصادق المهدي زعيم حزب الأمة السوداني، وزعيم الطائفة أيضاً..

رابعا: إن محور عملية الحرم لم يرتكز على المطالبة بالمبايعة، رغم أنها كانت حلقة هامة فيها، فالهدف أساساً هو إسقاط النظام وفق الرؤية المذكورة (الخسف للجيش)، ومن ثم يأتي البديل للحكم وللأشخاص بعد مبايعة الناس، ويعين القحطاني الذي رشحه جهيمان ـ شرط أن ـ ترضى عنه العامة، وتبايعه بيعة كاملة بشروطها.

خامساً: كما أشرنا سابقاً أن جماعة جهيمان نشأت من رحم الجماعة السلفية، ولكنها تختلف عنها في انها معارضة للحكم السعودي، وأنها تؤمن بفكرة (المهدي) على النحو الذي طبقه جهيمان في الواقع..

والجماعة اكتسبت أفكار المعارضة من حركة (الاخوان) السلفية التي قضى عليها عبد العزيز في أواخر العشرينات الميلادية، ولكنها تختلف عنها في إضافة مسألة (المهدي).. مع العلم أن جهيمان وكثير من أتباعه ما هم إلى امتداد لأجدادهم الذين قتلوا ضمن من قتل في واقعة السبلة وغيرها والتي لم يقم بعدها للاخوان قائمة.. ولا غرابة هنا أن نجد جهيمان ـ وبعد انفصاله عن جماعة "الدعوة المحتسبة" ـ اتخذ تسمية أجداده (الاخوان) فعرف نفسه وجماعته بجماعة (الاخوان)، ودافع عن أسلافه أيما دفاع، وشن في الوقت ذاته هجوماً عنيفاً على المشايخ المرتبطين بالنظام، لأنهم زودوا آل سعود بالفتاوى التي تجيز قتلهم..

ومع هذا كله فإن أفكار الاخوان السابقين واللاحقين، هي أفكار السلفيين، مع بعض الاختلافات الهامشية والثانوية جداً.. والفرق كما ذكرنا لا يعود إلا لأمرين أساسين: الأول: قضية (المهدي) والثاني وهو الأهم: معارضة آل سعود..

حول التلفزيون والكره ,معاداة التقدم.....
قدم الاعلام السعودي جماعة المعتصمين للجمهور بصورة مزرية قبيحة، ومارس تشويها متعمداً في هذا المضمار ليرسم صورة مبتذلة في أذهان المواطنين، مليئة بالتعصب والجهل والتخلف.. ومع أن كثيراً من الأقوال التي وصفت بها الجماعة ضمن هذا الاطار صحيح، إلا أن له تفسيرات تختلف عن تفسيرات السلطة السعودية والاعلام العربي المتعاطف معها.. هذا مع العلم أن هذا الموضوع لا يمثل إلا زاوية من الزوايا التي يجب أن تدرس لفهم الانتفاضة..

فتحريم السجائر، والفيديو والتلفزيون، وإسبال الثوب، وحلق اللحية، وحرمة تصوير ما له روح، والدراسة المختلطة.. هذه كلها محرمة بوجهة نظر الجماعة، وصحيح أيضا أنهم ضد الأغاني، وضد السينما، وضد خروج الأصوات النسائية من الراديو، وضد تمثيلهن في التلفزيون وظهورهن على شاشاته وغيرها..

ولكن من غير الصحيح أنهم ضد السيارة والطائرة، وضد سكن البيوت ومع العيش في الخيام، وأنهد ضد أكل اللحوم وغيرها، فهذه دعايات فارغة لا أساس لها من الصحة.

وقبل أن نبين وجهة نظر الجماعة حول هذه الامور، يجب أن نوضح بعض الحقائق التي تتعلق بالموضوع:

الأولى: ـ أن أجهزة الاعلام السعودية تعرضت في حديثها عن ما أسمته معاداة الجماعة للتقدم والوسائل الحديثة وما أشبه، ولكن بصورة عرضية سطحية، وهي بهذا تتضامن مع ما قالته الصحافة العربية التي روجت الأنباء انطلاقاً من تعاضدها مع الحكم السعودي..

الشيء المهم ذكره هنا، أن البيانات الرسمية الحكومية خلت من التعرض للجماعة حول هذه القضايا المحرمة، لسبب واضح هو ان المؤسسة الدينية في البلاد، والتي يعتمد علهيا النظام في إسباغ الشرعية

عليه، تقول بهذه الأفكار وتروج لبعضها عبر الصحافة المحلية أيضا، وعليه.. فمن غير الممكن أن يهاجم النظام رسمياً هذه المحرمات لأنه يتبناها، خوفا.. أو طمعاً بتأييد المشايخ.

الثانية: أن المحرمات التي أعلنها أفراد الجماعة، مؤيدة بنصوص دينية في معظمها، وإن كان التفسير والفهم لها يختلف بين بقية المسلمين.. كما أن هذه المحرمات لم تكن الأصل في المعارضة للنظام، وإنما هي جوانب من مآخذ الجماعة على الحكم السعودي، ولم تكن هذه المحرمات أيضا إلا جانبا ثانويا من الأهداف، إذ أن الهدف الرئيسي هو اسقاط الحكم السعودي.

الثالثة: أن السلطة السعودية استخدمت ذات الاسلوب وذات التهمة مع ذات الجماعة (الاخوان) في عهد الملك عبد العزيز.. فالملك اعتبر الاخوان السابقين أنهم مغالون في الدين، وأنهم ضد التلفون، وضد والتلغراف، وضد السيارات، وضد المخترعات الحديثة فقط، ولم ينسب إلى ثورة الاخوان الاولى أنهم معادون له لأنه عميل للأجانب (الانجليز) وأنه حول الامامة إلى ملك جبري، وأنه عطل (الجهاد)!

وفي ذات التعامل مع الأهداف.. نقص، إذ أنه لا ينظر إليها كمجموع متكامل، وإنما يتناول جزءاً منها بالتعليق والتفسير المغلوط، وتقديمه للرأي العام بالصورة التي تخدم أغراضه..

وإذا كان من الصحيح أن الاخوان الأوائل كانوا ضد بعض المخترعات الحديثة، فإن السبب لا يعدو أمرين:

أولهما: أن الحكم السعودي ومشايخه هم الذين افتوا بحرمتها.

وثانيهما: أن هذه المخترعات - خصوصاً التلفون والسيارات الحديثة والأسلحة الجديدة المستوردة - تؤثر على سير المعارك، وتقوي جهاز ابن سعود ضد معارضيه من الإخوان وقد اعترف مترجم الملك بهذه الحقيقة، حينما أوضح أن الرشاشات الانجليزية الحديثة كانت السبب الأول في انتصار ابن سعود في معركة السبلة ضد الاخوان.. وفي موقع آخر من كتابه تفيد الابلاغ عن مواقع المعارضين، وقد استفاد ابن سعود منها فعلاً حينما ثار (ابن رفادة) فقضي عليه سريعاً نتيجة سهولة الاتصالات السلكية[1]..

ويكفي أن نعرف بان ألاتجاه العام في صفوف المنضوين تحت اللواء السعودي - وبدون استثناء - كان ضد التفون بالذات، إضافة إلى كونه ضد الانجليز والتعامل معهم.. وتذكر المصادر أن القوات السعودية التي هاجمت الطائف عام 1924م، كان أول عمل لها بعد إسقاط الحامية العسكرية الهاشمية، هو تكسير السعودية أنه وبعد أكثر من خمسة عشر عاماً من القضاء على الاخوان، لازال مشايخ السلطة ضد الهاتف، بل إن بعضهم كان ضد السيارات حتى الأربعينات الميلادية.

وبالنسبة لجماعة الاخوان (الحالية) التي اعتصمت في الحرم، فإن افكارها واعتراضاتها والأمور التي قالت بحرمتها لا يختلف عليها مشايخ السلطة أنفسهم، ولكن الاعتراضات الاخوانية كانت مسيسة، وهذا الأمر هو الذي حدا بالمرحوم جهيمان أن يقول بأن الشيخ ابن ب از، وهو الرجل الأول في المؤسسة الدينية الحكومية، لم يعترض على الرسائل التي كتبها سوى ما خصص ضد الدولة السعودية..

فالأصل، أن الافكار المطروحة لا تتعارض مع رؤية مشايخ السلطة أنفسهم، وبالتالي فهي مقبولة في الأوساط الشعبية ومعروفة وليست مستغربة.

ولهذا السبب تحاشت السلطة في بياناتها الرسمية التعرض والطعن في رؤى الاخوان تجاه القضايا المطروحة بإسم (التقدم والعمران والرفاهية).. مع العلم أن صحافته غمزت وأوحت بطرق عديدة عن أن الجماعة رجعية ومتعصبة..

والمرحوم جهيمان، لم ينتظر التشهير من الصحافة السعودية وأخواتها، لتقول أنه معاد للتقدم وما أشبه، بل أوضح ذلك في رسائله منعاً لأي التباس، وأورد الحجج التي عنده حولها..

فهو يقول متهكما على السلطة ومشايخها: (ما معنى وجود هيئة الأمر بالمعروف، والافتاء والدعوة والارشاد، والشريعة أصول الدين والدعوة؟، وما معنى وجود السينما ودور اللهو، وإدارة الفنون وغيرها؟،

وما معنى الانفاق على هذه وتلك؟، أليس هذا مهزلة؟!، وإرضاء لأصحاب الشهوات، وإسكات للدعاة، وضحك على المشايخ؟!).

ويقول في موقع آخر من إحدى رسائله: (وهل ممكن إعلان الجهاد على دول الكفر، ولنا عندهم سفراء، ولهم عندنا سفراء وخبراء واستاذة؟، فلا تنخدع بزخارف المزخرفين.. كيف ندعو للاسلام والنصارى أساتذتنا!؟، وهل ممكن أن ندعو لرفع راية الجهاد وعلم النصرانية يرفرف بجانب علم التوحخيد!؟، فدعونا يا قوم من المهزلة، ولا نكن مغرورين ومخدوعين إلى هذا الحد، لابد أن يكون عندنا فرقان بين الحق والباطل)..
والطريف أن وزير الداخلية نفى أن تكون الجماعة المعتصمة في الحرم أن تكون لها مطالب سياسية، وان تقطع العلاقات مع أميركا، إذ ماااذا يدل هذا الكلام؟!

وحول حلق اللحية وإسبال الثوب، فقد تعرض جهيمان لذلك أكثر من مرة في كراساته، يقول في إحداها (التوحيد كيف بينه القرآن ودعا إليه/ ص35): (وتجد أقواماً يعلنون إبليس بأفواههم ويطيعونه بأعمالهم، ويحبون الرسول صلى الله عليه وسلم بألسنتهم ويعصونه بأفعالهم، وأقرب مثال في المصلين الذين يقولون أنهم موحدون، يتبعون داعي الله، ولا يتبعون داعي إبليس، تجد منهم من يحلق لحيته، أو قصر منها، ويسبل ثوبه، وهم يعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حرم ذلك كله بقوله "اعفوا اللحى" وبقوله: "ما أسفل من الكعبين فهو في النار".. الخ)..

ومن الجدير بالذكر أن جهيمان لا يؤمن بالمدارس والجامعات الحكومية في الدراسات الدينية، ويشن حملة على الأساتذة الذين تخالف ممارساتهم وتصرفاتهم الدين الاسلامي الذي يزعمون أنهم يدرسونه للطلاب.

أما التدخين، فهو محرم لدى مشايخ السلطة قبل غيرهم، وإذا كان جهيمان قد قال بحرمته، فهو لم يضف جديداً، تماما كما هو الحال بالنسبة لحلق اللحية وإسبال الثوب.. وكذلك يصدق القول بالنسبة للتصوير، فلا زال مشايخ السلطة يحرمون التصوير إلى هذه اللحظة، بل إن الصحافة تنقل أحيانا إجابات للشيخ ابن باز حول هذا الأمر تؤكد حرمة التصوير!

أما التلفزيون والفيديو والراديو، فكان بالامكان ـ بوجهة نظر جهيمان ومشايخ السلطة ـ القبول بها، لو كان نفعها أكثر من ضررها.. ولكن تحولت هذه الأجهزة إلى أدوات حكومية لنشر الفساد.. وإذا كان جهيمان قد اعترض عليها قبل ست سنوات.. فإن الصحافيين اليوم يسطرون في الجرائد المحلية إشارات الخطر من جهاز الفيديو وتأثيره على سلوك الجيل الشبابي، الذي أصيب بالفساد حتى التلف.. خاصة وأن السلطة تتساهل في تمرير الأفلام الماجنة والخليعة، لدرجة أنها تباع وتؤجر في عشرات الآلاف من المحلات المنتشرة اليوم في البلاد.. بل إن الحكومة ـ ومن خلال البرامج التلفزيونية والاذاعية ـ بثت الميوعة والانحلال في المجتمع، متجاوزة بذلك كل الأعراف والتقاليد المحلية، ومتجاوزة المباديء الدينية التي تحرم مثل هذه الأمور.. حتى وصل الحال أن تظهر ممثلات سعوديات على شاشة التلفزيون بدون حجاب، يقمن بأدوار يخجل المرء من ذكرها، مع العلم أن الحجاب مفروض من الناحية الرسمية!!

وبعد هذا، إذا كان جهيمان قد حرم التلفزيون فعلاً وهو ما لم يظهر في أي من رسائله، فإنه إنما يحرمه لمساوئه الكبيرة، ولو كان توجه النظام السعودي الاعلامي أخلاقياً، ويراعي الدين، ويهتم بتربية الجيل وتثقيفه، لكان قد اتخذ رأيا آخر، هذا إذا سلمنا جداً أن جهيمان أفتى بحرمته..

وأما دور السينما، فهي لم تصبح تجارية بعد، ولم تصرح لها الحكومة علنا، لكن من المعروف أن هناك عشرات ـ بل مئات ـ السينماءات منتشرة في أنحاء البلاد، وكلها بعيدة عن الرقابة الحكومية، وتنشر أفلاماً منحطة أخلاقياً، والقائمون عليها كلهم من أفراد العائلة الحاكمة، كما هو حصل في الأندية الرياضية ـ مثلا ـ.

إن محور القضية هنا، ليس في وجود جهاز التلفزيون والراديو وغيرهما، وإنما في تأثيرهما وضررهما.. أي في التوجه الحكومي.. ولهذا قالت بعض الصحف أن الجماعة تحرم الراديو لأن أصواتاً نسائية تخرج منه، وكذلك التلفزيون، كما قالت أيضا أنها ضد الأغاني، وهذا طبيعي جداً، وهو مآخذ على آل سعود وليس على جهيمان، وكذلك قل بالنسبة للدراسات المختلطة، فهذه ليست علامات تحضر حتى يدافع عنها إعلام آل سعود..

بقيت نقطة أخيرة.. إننا نعتقد بأن المآخذ الوحيد الذي يمكن أن يوجه للجماعة، هو تكبيرهم للجزئيات ووضعها في مصاف الأمور المهمة.. ووجود شيء من الانغلاق في الفكر، وإن كنا نعتقد بأن الاجواء التي نمت وترعرعت فيها الجماعة أثرت بشكل كبير في وجود هذا الأمر، وهذه الأجواء المنغلقة والحصار الذي يفرضه النظام على مصادر الفكر والثقافة، مسئول عن إيجادها النظاما لسعودي نفسه، لأن الانسان يتأثر بمحيطه، فإن كان مليئاً بالتعصب والانغلاق فلابد أن يلحق به شيء منه.. والجماعة هي وليدة مجتمعها ومتأثرة بأوضاعه، وبالتالي فإن السلبيات الموجودة فيه نالت منها شيئاً قليلاً..

كما أن أمراء الأسرة الحاكمة بتصرفاتهم الماجنة، وفسوقهم المعهود عنهم، وتجاوزهم لكل المحرمات، ولد ردة فعل غاضبة قد تصل إلى النقيض.

فبالنسبة للتصوير، وبالرغم من أن المؤسسة الدينية الحكومية في البلاد مجمعة على حرمته، مستندة على فتاوى ونصوص قد لا يعتقد بقية علماء المسلمين داخل البلاد وخارجها بها أو بانطباقها فعلياً على الموضوع، رغم هذا فإن السلطة تجري الأمور حسب مصلحتها..

ويذكر أنه في منتصف الخمسينات اصدر مفتي الديار السعودية بيانا بحرمة التصوير، وفي اليوم التالي ظهرت الصحف السعودية بدون صور على الاطلاق بأمر من الملك سعود، كما يذكر السفير العراقي المفوض في جدة أمين المميز في كتابه (المملكة العربية السعودية كما عرفتها).. وبعد أيام غير الملك سعود رأيه وطلب وضع صوره، وظهر بيان حول الأمر يبين أهمية التصوير للإسلام!!

وفي أواخر السبعينات، بل وطوال فترة السبعينات، كانت جماعة (الاخوان) تغطي صورة الملوك السعوديين الموجودة على النقود بالحبر الأسود، مما استثار آل سعود، فجاؤوا ببعض مشايخهم ليفتوا خلاف رأيهم، بأن الصور ووضعها ضروري ومحلل شرعاً!

والقضية المركزية هنا، أن تحريم الصور لازالت المؤسسة الدينية السعودية القائمة على العقيدة (الوهابية) مصرة على حرمته.. وما لم تتغير القناعات أولا، وينظر إلى تفسير النصوص بتجرد ثانيا، فإن أفكار جهيمان وأمثال جهيمان لا تشذ عن القاعدة حول قضية التصوير.

ومهما يكن من أمر، فإن من الواجب على كل باحث أن ينظر لأهداف الجماعة من كل الزوايا وأن يأخذها بمجموعها وليس بابتسارها.. فالجماعة طرحت أهدافاً دينية وسياسية لا يختلف عليها دعاة الحق، كإسقاط النظام الملكي وقطع الروابط مع الغرب، وتصفية المجتمع من السلبيات والأمراض الاجتماعية التي نتجت عن العهد الملكي السعودي الفاسد.. وما عدا هذه الأهداف فإنها أقل أهمية، ولا يجب أن تؤخذ على أنها الهدف الكلي للجماعة.

[1] - راجع كتاب "توحيد المملكة العربية السعودية" لمحمد المانع (مترجم الملك)، وراجع أيضاً كتاب (الاسلام والوثنية السعودية) لمؤلفه فهد القحطاني، والصادر عن منظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية.